خطاب الكراهية وتآكل رأس المال الاجتماعي
"قراءة في بعض أعمال بهاء طاهر"

د. ولاء أسعد عبد الجواد عبد الحليم(*)

مستخلص:

تهتم هذه الدراسة بتحديد مفهوم خطاب الكراهية ورصد مظاهره، ولا سيما الدور الذي يقوم بِه في تآكل رأس المال الاجتماعي في المجتمعات التي استطاعت أن تُبنى ركام من هذا الرأسمال؛ وذلك من خلال تحليل عملين روائيين للأديب بهاء طاهر: الأول، رواية "خالتي صفية والدير" ١٩٩١م، التي تهتم برصد العلاقة بين أقباط مصر (المسلمون والمسيحيون) في فترة تاريخية من فترات المجتمع المصري، كما تركز أيضًا على جدلية الحب والموت بين شخصيات الرواية، والثاني، رواية "واحة الغروب" ٢٠٠٨م، التي تدور أحداثها حول الصراع بين الجماعتين المُشكلتين لسكان واحة سيوة "الشرقيون والغربيون"؛ ذلك الصراع الذي ولَّد خطابًا للكراهية بين الجماعتين وألقي بظلاله على طبيعة العَيش المشترك بين الجماعتين.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن خطاب الكراهية في كلتا الروايتين قد أدى إلى تآكل رأس المال الاجتماعي، والذي انعكس بدوره سلبًا على أبعاد وخصائص هذا الرأسمال مما أدى إلى: فقدان الثقة، وضعف التماسك الاجتماعي والعزوف عن المشاركة المجتمعية، وعدم احترام الآخر ورفضه ومن ثَمَ تهديد بنية العلاقات الاجتماعية داخل الأمكنة التي دارت فيها أحداث الروايتين، وبين الشخصيات التي تدور حولهما أحداثهما.

الكلمات المفتاحية:

خطاب الكراهية، تآكل رأس المال الاجتماعي، العيش المشترك، قبول الاختلاف.

(*) مدرس علم الاجتماع – كلية البنات– جامعة عين شمس.

Hate Discourse and the Erosion of Social Capital: Reading of some Bahaa Taher's works

Abstract:

This study aims to highlight the concept of Hate Discourse and define its consequences, especially the role that it is playing in the erosion of the social capital in the societies that accumulated that capital. The study tries to do that through analysis of two novels for The Egyptian novelist Bahaa Taher. Both of novels focus on the relationships between people in tow traditional societies that could established social capital throughput along time, but under some conditions that capital was attrited.

The study has showed that the hate speech contributed to erosion the social capital in both novels and the erosion lead to the absence of trust, the lack of solidarity, and refusing others, hence the lack of instability of the society.

Key words:

Hate discourse, Erosion of Social Capital, Acceptance of difference, Conviviality.

أولا: إشكالية الدراسة:

يُشير رأس المال الاجتماعي في أبسط معانيه إلى بنية تماسك أي مجتمع، كما أنه يمنح أفراده القدرة على تجاوز الأزمات وصد الصراعات سواء الداخلية منها أو الخارجية؛ فمتانة العلاقات والروابط الاجتماعية بين الأفراد تعمل على تحقيق التوازن، أما إذا حل الصراع ونشبت الكراهية وتمرد الأفراد كل منهم على الآخر، أدى ذلك إلى تآكل رأس المال الاجتماعي. هذا، وقد شاع استخدام رأس المال الاجتماعي في أدبيات التنمية بشكل عام ودراسات علم الاجتماع على وجه الخصوص منذُ بواكير القرن العشرين؛ نظرًا لما يُشكله رأس المال الاجتماعي من أهمية في تماسك بنية أي مجتمع بشري.

وبالرغم من أهمية رأس المال الاجتماعي في تحقيق التماسك والتكامل داخل المجتمعات البشرية، إلا أنه في الأونة الأخيرة أصابهُ العجز والتدهور وأصبح عرضة للتآكل نتيجة للتغيرات السريعة والمتلاحقة التي لحقت بالحياة البشرية بصورة أو بأخرى؛ مما أدى إلى فقدان الثقة في التعاملات والعلاقات الشخصية الناتجة عن وجود أزمات مجتمعية، والتي سرعان ما تحولت إلى صراعات ونزاعات تُسبب الكثير من مظاهر البُغض والكراهية بين أفراد المجتمع. ومن هنا شاع مصطلح "خطاب الكراهية" Hate Speech، الذي أصبح أكثر الأساليب شيوعًا لنشر الأفكار المثيرة للانقسام على النطاق العالمي ومن ثم تعالت الأصوات لضحد هذا الخطاب، إيمانًا بأنه إذا تُرك دون رادع يُمكن أن يُضر بالسلام والتنمية. ومن هنا سلطت الأمم المتحدة الضوء على المخاوف العالمية بشأن "الانتشار المتسارع لخطاب الكراهية" في جميع أنحاء العالم، واعتمدت قرارًا بشأن "تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات والتسامح في مواجهة خطاب الكراهية". لذا أكد الأمين العام للأمم المتحدة "أنطونيو غوتيريش" إن الكراهية خطر مُحدق بالجميع؛ ولذلك لابد أن تكون محاربته فرضًا على الجميع" (الأمم المتحدة، ٢٠٢٢م).

وعلى الرغم من حداثة مفهوم خطاب الكراهية إلا أن الأدبيات والمواثيق والمعاهدات الدولية قد أشارت إليه، منذُ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م، الذي أكد على أهمية ضحض خطاب الكراهية بدءًا من الإعلان الذي دعا إلى إلغاء كافة أشكال التمييز ضد الأفراد والشعوب، هذا بالإضافة إلى ما نصت عليه بنود ميثاق الأمم المتحدة لعام ١٩٥٤م من أجل تحقيق التعاون الدولي والعمل على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية

وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس، والتشجيع على ذلك يكون بلا تمييز على أساس الجنس أو اللغة أو الدين دون تمييز بين النساء والرجال، فضلا عما ورد أيضًا بخصوص هذا الصدد في إعلان الأمم المتحدة للقضاء على كافة أشكال التمييز العنصري عام ١٩٦٣م. هذا بالإضافة إلى ما تضمنته الاتفاقيات الدولية، كالاتفاقية الدولية للقضاء على التمييز العنصري عام ١٩٦٥م، والاتفاقية الخاصة أيضًا بمكافحة التمييز في مجال التعليم لعام ١٩٦٠م، والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦م، وأشار العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية لعام ١٩٦٦م إلى أهمية ضحض خطاب الكراهية أو التحريض عليه، كما دعت العديد من المبادرات الدولية إلى الوقاية منه على كافة الأصعدة (إسماعيل لأطراش وآخرون، ٢٠٢٢م: ١٣٧).

ومثلما شاع مصطلح خطاب الكراهية، شاع أيضًا مفهوم رأس المال الاجتماعي في أدبيات التنمية ودراسات علم الاجتماع وكذلك في أجندة عمل العديد من المنظمات الدولية والمحلية؛ نظرًا لما يُشكله رأس المال الاجتماعي من أهمية تؤكد على تماسك بنية أي مجتمع بشري من جانب ولكونه أهم مؤشرات التنمية في المجتمعات المعاصرة من جانب آخر، وقد زاد من الاهتمام برأس المال الاجتماعي شيوع مصطلح خطاب الكراهية الذي ظهر نتيجة للأزمات والصراعات المجتمعية والميول التعصبية، وانعكاساتها السلبية التي تتسبب في تآكل رأس المال الاجتماعي. والجدير بالذكر، أن الأعمال الروائية قد ناقشت العلاقة بين وجود صور من الكراهية والعنف وبين تآكل رأس المال الاجتماعي الذي راكمته العديد من المجتمعات عبر تاريخيها.

وباعتبار أن الأدب، خاصة الأدب الروائي، هو المرآة العاكسة لأي مجتمع والشارحة لمتغيراته والمحللة لتفاعلاته، فإن بعض الأعمال الأدبية قد ناقشت صور الكراهية والعنف التي سادت المجتمع البشري المعاصر وإلى أي مدى لعبت دورًا في تآكل رأس المال الاجتماعي لدى المجتمعات التقليدية التي من المفترض أن تكون قد راكمت رأس مال اجتماعي نتيجة لأوضاعها وظروفها الاجتماعية. وفي هذا الصدد يمُكنني الإشارة إلى بعض الأعمال الروائية منها على سبيل المثال وليس الحصر: رواية "رصيف الطاهرة" للكاتبة السعودية أميرة محارب، ورواية "الإرهابي" لعبدالله ثابت، ورواية "الأنثى المفخخة" لأميرة حبيب المضحي، ورواية "عرق بلدي" لمحمد المزيني، وروايتي "القارورة والحمام لا يطير في بريدز" لمحمد الحيميد، ورواية "سوق الحميدية" لسلطان سعد القطحاني، ورواية "جروح الذاكرة" لخالد التركي، ورواية "مديح الكراهية"

للكاتب السوري خالد خليفة، ورواية "تاء الخجل" للكاتبة الجزائرية فضيلة الفاروق، ورواية "مديح الحرب" للكاتب الإسرائيلي عيلي راونر، ورواية "سأهجرك كما هجرك أبي" للكاتب الجزائري دايروا داتسيدا، ورواية "مأساة واق الواق" للأديب اليمني محمد محمود الزبيري...إلخ وغيرها من الأعمال الأدبية.

وعلاوة على ذلك، فقد تناول الروائي المصري بهاء طاهر القضية نفسها من خلال بعض أعماله الروائية التي عكست واقع بعض المجتمعات التقليدية التي من المفترض أنها تمتلك رأس مال اجتماعي فرضته وأوجدته طبيعة الحياة، حيث شهدت هذه المجتمعات، تاريخيًّا استقرارًا نجم عن وجود رأس مال اجتماعي، إلا أن وجود تغيرات اجتماعية قد أسهمت في تآكله، الأمر الذي بدوره أدى إلى انتشار خطاب الكراهية بين أبناء تلك المجتمعات.

وتسعى هذه الدراسة إلى تناول قضية خطاب الكراهية ودوره في تآكل رأس المال الاجتماعي في عملين روائيين للأديب بهاء طاهر: (خالتي صفية والدير، وواحة الغروب)، وهما العملان اللذان دارت أحداثهما في مجتمعات متميزة ثقافيًا، ومن المفترض فيهما تشكُّل لرأسمال اجتماعي قوي، إلا أن ظهور صور من الكراهية قد أسهمت في تآكل هذا الرأسمال. ولتحليل تلك العلاقة، ثم طرح التساؤلات التالية:

١- كيف لعب خطاب الكراهية دورًا في تآكل رأس المال الاجتماعي في العملين؟

٢- ما مظاهر خطاب الكراهية كما صورتها تلك الأعمال؟

٣- كيف يقدم النص الأدبي رؤية دالة توضح طبيعة التعاملات والعلاقات الاجتماعية داخل العمل الروائي وخارجه؟

٤- هل ثمةً دروس مُستفادة يمكن الخروج بها من الروايتين لدحض خطاب الكراهية؟

ثانيًا: المفاهيم الأساسية وتعريفاتها الإجرائية

١- خطاب الكراهية Hate Speech:

بالرغم من عدم وجود تعريف موحد لخطاب الكراهية؛ إلا أن البعض يعتبره مُصطلحًا حكوميًّا فضفاضًا يعني: "أنماط مختلفة من أنماط التعبير العام التي تنشر الكراهية أو التمييز أو العداوة، أو التحريض عليها أو تروج لها أو تبرر له، ضد شخص أو مجموعة ما أو نشر الدعوة إلى

الكراهية والتمييز والتحيز أو العنف والعدوانية ضد حاملي صفات معينة، كالعرق أو الدين أو الإعاقة أو الرأي السياسي أو اللون أو النسب أو الجنس أو أي عامل هويةً آخر"(سعد عبدالسلام، ٢٠٢١م: ٤٧). والبعض يعتبره نوعًا من الخطابات التي تدخُل في إطار النقاش العام الذي لا يجوز تقيده، على سبيل المثال: الخطابات التي تؤدي إلى كراهية الأفراد لجهاز الشرطة بسبب ممارسته للتعذيب ضد المواطنين، أو التي تؤدي إلى كراهية الحكومة بسبب فساد بعض أعضائها (محمد صبحي، ٢٠١٦م: ١٦). واستنادًا إلى مبادئ "كامدن" الذي يدعو إلى حرية التعبير والحق في المساواة، تم صياغة خطاب الكراهية بأنه: "حالة ذهنية تتسم بانفعالات حادة وغير عقلانية من العداء والمقت والاحتقار تجاه المجموعة أو الشخص المحرض ضده" (https://www.article19.org/data).

هذا، وقد أدى شيوع استخدام خطاب الكراهية من قبل السياسيين، وقادة المجتمع، والإعلاميين إلى وجود أعمال عنف واسعة النطاق في العديد من البلدان في جميع أنحاء العالم (أحمد كريم، ٢٠٢٢م: ٢٠٤–٢٠٥). بالإضافةً لهذا هُناك بعض الأفعال التي تُساعد على التحريض على الكراهية منها: الكتابات والمطبوعات ويُقصد بها كل تعبير باللغة المكتوبة أيا ما كان شكل المكتوب بخط اليد أم مطبوع، أو عن طريق وسائل التمثيل كالرسوم والصور المتمثلة في الرسوم الموضوعة والتي يعتمد فيها على الألوان، والظلال والتصوير الأبيض والأسود بطريقة الرش على الورق أو الكاريكاتير، والبعض ينقل خطابات الكراهية من خلال الصور الشمسية والرموز، وهي صور تعتمد على التأثير الضوئي ويتم نقلها بطُرق تقليدية أو عن طريق التلفاز أو شبكات الاتصال الإلكتروني (علياء علي، ٢٠١٧م: ٥٥٣).

وبالرغم مما تقدم من تعريفات، لكن لا يمكن القول: إن خطاب الكراهية ليس تعريفًا معقدًا فحسب، بل هو تعريف مُثير للجدل أيضًا؛ نظرًا لاحتوائه على عدد من المصطلحات المتداخلة، **وبناءً على ما سبق يمُكن تعريف خطاب الكراهية إجرائيًا بأنه:**

"خطاب يُعبر عن واقع أو يعكس أجزاء من أحداث هذا الواقع، ليوضح معاناة شخوصه عن طريق إلحاق الصراعات والفتن على أساس الجنس أو اللون أو الدين أو العرق، ويعمل على إظهار المشاعر الانفعالية السلبية المتمثلة في: الحث على حب الانتقام والكراهية، والقتل والغضب، والحقد، والترويع، والخوف مما يُسبب التعصب والعداوة والكراهية".

٢- رأس المال الاجتماعي Social Capital

حظى مفهوم رأس المال الاجتماعي باهتمام كبير منذُ منتصف القرن العشرين وخاصة بعد ارتباطه بمفهوم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، التي تحُاول أن تُعظم المنافع الاجتماعية المتاحة في الحاضر دون المساس بالمنافع المحتملة في المستقبل. ويُعد عالم الاجتماع الفرنسي "**بيير بورديو Pierre Bourdieu (١٩٣٠-٢٠٠٢م)**" أشهر من أشار إلى مفهوم رأس المال الاجتماعي، حيث عرفه بأنه: "مجموعة من الاتصالات والعلاقات والمعارف والصداقات، والسندات (ديون أو ديون رمزية) التي من خلالها يستطيع الفرد تكوين قوة اجتماعية كبيرة، فقدرة الفعل ورد الفعل مهمة تقريبًا وفقًا لنوعية وكمية الارتباطات وصلة الفرد مع أفراد آخرين من حيث إن المظهر العام لرأس المال، تحت مخُتلف أشكاله يُمثل تشابهًا قويًا أو تمثيلا مع ذلك الخاص بالفاعل" (ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، ٢٠١٣م: ١٦٣-١٦٤).كما أكد عالم الاجتماع الأمريكي "**جيمس كولمان James. S. Coleman (١٩٢٥- ١٩٩٥م)**" وجود علاقة وثيقة الصلة بين رأس المال الاجتماعي ورأس المال البشري، حيث أكد على أن الصلات الاجتماعية المشتركة بقوة ضروري أن ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمستويات العليا من التحصيل التعليمي، كما أكد على أن تشكل رأس المال الاجتماعي يحتاج إلى مجموعة من الموارد الداخلة في العلاقات الأسرية وفي التنظيم الاجتماعي للجماعة وأنه مُفيد في التطور المعرفي أو الاجتماعي لطفل أو شخص صغير في السن (جون سكوت، ٢٠٠٩م: ٢٢٤). في حين عرفه عالم الاجتماع الأمريكي "**نان لين**" بأنه: "الموارد الكامنة في الشبكات والعلاقات الاجتماعية التي يتم الوصول إليها واستخدامها من قبل الفاعلين لتسهيل أفعالهم، كما يُعرف أيضًا، بأنه الاستثمار في العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الفرد، مع توقع العوائد والأرباح في ساحات السوق المختلفة، وتنتشر هذه الساحات عبر مجالات الفضاء الاجتماعي، المجال الاجتماعي، المجال السياسي، والمجال الثقافي (انتصار سعود وعفاف محسن الأنسي، ٢٠١٩م: ١٣٨).

كما قسم عالم السياسة الأمريكي **روبرت بوتنام Robert D. Putnam** أشكال رأس المال الاجتماعي إلى ثلاثة أنماط يعتمد كل منها على العلاقات الاجتماعية ودرجة الثقة بين أفراد المجتمع وقدرتها على تحقيق تماسك وترابط بنية المجتمع، وتم تقسيمها كالآتي: **رأس المال العاضد Bonding Social Capital**، والذي يُشير إلى الروابط القوية بين الأفراد التي تنجم بدورها عن العلاقات الأولية كعلاقات الجوار، والقرابة، والصداقة، تلك التي تخضع لقيم وقواعد

لا يُمكن فصلها. و**رأس المال العابر Bridging Social Capital**، والذي لا يُشير مثل سابقه إلى العلاقات القوية، بل العلاقات التي تنشأ بين الأفراد من خلال مؤسسات المجتمع المدني التي تسعى إلى تحقيق أهداف مشتركة. ومن ثم لا تخضع هذه العلاقات للجبر والإلزام، بل للرغبة الخاصة النابعة من الحب للعمل التطوعي ومساعدة الآخرين. وأخيرًا **رأس المال الرابط Linking Social Capital**، الذي يُشير إلى الروابط والعلاقات داخل نظام للتدرج Hierarchy حيث إنه يقوم على المركز الاجتماعي أو السلطة التي يحظى بها هؤلاء الأفراد (Robert Putman, 1995: p19).

وفي إطار تنامي عمليات العولمة والدور الذي قامت بِه وسائل التواصل الاجتماعي، حدد المعنيون بالمفهوم ستة أبعاد رئيسة لرأس المال الاجتماعي، يمكن عرضها على النحو التالي (خالد أبو دوح، ٢٠٠٩م: ٥٢–٥٣)

الجماعات والشبكات: Groups and Networks ويُعد هذا البعد من أكثر أبعاد رأس المال الاجتماعي شيوعًا، ويتناول مدى مشاركة الفرد في الأشكال المختلفة من المنظمات الاجتماعية، والشبكات غير الرسمية. وأكد البعد الثاني على البعد **الثقة والتضامن: Trust and Solidarity** من حيث حدود ودرجات الثقة الاجتماعية لدى أفراد المجتمع، ومدى ثبات أو تغير هذه الثقة عبر الزمن. في حين أكد **الفعل الجمعي والتعاون Collective Action and Cooperation** على مدى قدرة الأفراد على العمل مع الآخرين في مجتمعاتهم، من خلال المشروعات المختلفة. وركزت **المعلومات والاتصال Information and Comminution** في الوصول إلى المعلومات لكونها عاملاً محوريًّا في مساعدة المجتمعات لما لها من صوت قوي في الأمور التي تؤثر على رفاهيتها. على الجانب الآخر اهتم بعد **الاندماج والتماسك الاجتماعي Social Cohesion and Inclusion** بالانقسامات والتفاوتات، التي يمكن أن تؤدي إلى الصراع. ويتضمن هذا البعد تحديد طبيعة هذه الفروق والتفاوات والانقسامات والآليات التي يتم بواسطتها السيطرة عليها. وأخيرًا ركز بعد **التمكين والفعل السياسي: Empowerment and Political Action** على تمكين الأفراد إلى الحد الذي يمكنهم من السيطرة والتحكم في العمليات التي يُمكن أن تؤثر بشكل مباشر على رفاهيتهم.

وبناءً على ما سبق إذا كان رأس المال الاجتماعي يعني قوة العلاقات الاجتماعية فإن تآكل رأس المال الاجتماعي وهو الوجه المضاد له، يمكن تعريفه إجرائيًّا بوصفه: انعدام الدفء

العاطفي الذي يؤدي إلى العنف القائم على الصراع والكراهية، ورفض الآخر المختلف، والذي يُسهم بدوره في فشل التعاون، وعدم التجانس واللا تماسك وفقدان الثقة وزيادة الصراع، وضعف الصلات والروابط الاجتماعية.

ثالثًا: التراث البحثي

بعد الاطلاع على التراث البحثي المتاح وذي الصلة بموضوع الدراسة. وجدت تنوعًا في الدراسات التي ناقشت قضيتي خطاب الكراهية ورأس المال الاجتماعي، ولعل ذلك يرجع إلى صور العنف التي اجتاحت المجتمعات عامة، ومجتمعنا المصري على وجه التحديد، كما وجدت العديد من الأعمال الأدبية التي صورت انتشار خطاب الكراهية وأخرى غير أدبية تناولت تآكل رأس المال الاجتماعي. وبناءً على تنوع التراث البحثي قُمت بتقسيمه إلى محورين: المحور الأول، دراسات تناولت خطاب الكراهية في مجال الأدب، والإعلام هذا بالإضافة إلى دراسات تناولت خطاب الكراهية من الناحية القانونية والدينية، بينما تناول المحور الثاني: دراسات عن رأس المال الاجتماعي في مجالات عدة منها: الإعلام، والأدب وعلم الاجتماع...إلخ.

المحور الأول: دراسات تناولت خطاب الكراهية.

تعددت الدراسات التي تناولت خطاب الكراهية في مجال الأدب، على سبيل المثال وليس الحصر: دراسة رملة ناصري وآخرون (٢٠٢١م) التي اهتمت بتحديد مفهوم الكراهية، ورصد مظاهره في الرواية العربية المعاصرة والوقوف على الانعكاسات السلبية لهذا الخطاب. بما في ذلك الأمراض النفسية والعقلية في رواية "سأهجرك كما هجرك أبي". وتوصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها: انتشار خطاب الكراهية على نطاق واسع حيث انتشر في العالم بأسره رغم وجود قوانين تسعى للحد من هذه الظاهرة وتجريم من يدعو إليها. ارتبط خطاب الكراهية ارتباطًا وثيقًا بالعنف والتحريض عليه، والحث على حب الانتقام وإشعال نار الفتنة في القلوب. كما عكست الرواية أيضًا الواقع المرير جراء معاناة شخوصها من الكراهية، وطرحت الرواية عددًا من الأسباب المؤدية إلى الانحراف الاجتماعي الناجم عن سيادة الكراهية: كالتفكك الأسري، وحب الذات، والسعي وراء إشباع الرغبات.

في حين تناولت دراسة ضيف الله السعيد وآخرين (٢٠٢٠م)، قضايا المرأة وعلاقتها بالرجل في رواية "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، الرواية التي تسعى إلى تغيير المنظومة الثقافية

وتحرير المرأة من سجن القمع واقتلاع جذور الظلم المجحفة والتعبير عن قضايا يرفضها المجتمع، كما أوضحت الصراعات التي تعرضت لها المرأة والكراهية التي نشبت في قلبها جراء مجتمع يقوم بقمعها ويحاول السيطرة عليها. فدور المرأة لا يقتصر على الولادة والإنتاج فحسب؛ لذا دعت الكاتبة إلى التخلي عن ملامح الأنوثة والتجرد منها باعتبارها عائقًا يحول بينها وبين تحقيق حلمها، وما ترغب فيه؛ لذا وجب عليها التخلص من هذا العائق بالرفض والتمرد على كل الممارسات التي تمنعها من تحقيق ذاتها، وقد توصلت الدراسة إلى العمل على خرق كل القوانين والمقاييس التي تحكم المجتمع وتخطي كل الحدود من أجل كسر التابوهات التي وضعها المجتمع لتفسح الكاتبة المجال لبطلتها أن تُمارس التمرد على الواقع الذي يُهدد كيانها ويدمر وجودها، الواقع الذي يفرض على المرأة الخضوع للمجتمع بأخلاقه وشرائعه، كما عملت على تحرير المرأة من القيود التي كبلتها بها ذهنية الرجل وماضوية الثقافة البطريركية التي ترى أن المرأة مجرد جسد ولا تؤمن بها روحًا وإبداعًا.

كما اهتمت دراسة جميل حمداوي (٢٠١٥م)، بجدالية الحب والكراهية في رواية "رصيف الطهارة" لأمير محارب، واختار الباحث هذه الرواية دون غيرها من الروايات لأنها تتحدث عن شخصية نجد صراعها الذاتي مع نفسها اتصالا وانفصالا مع وسطها الأسري، وصراعها مع واقعها الذي يعج بالتناقضات الأخلاقية والقيمية ضمن العديد من الثنائيات: المقدس والمدنس، الطهارة والقذارة، الحب والكراهية، الإرهاب والتسامح، الماضي والحاضر...إلخ. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: إثبات وجود تصادم شعوري وتوتر انفعالي بين عالمين متضادين عالم الكراهية (عالم الأرهاب، والتطرف، والتشدد، والتزمت الديني) وعالم الحب (عالم الحرية، التعايش، التسامح). ويبدو أن الانتصار والبقاء في النهاية يكون بطبيعة الحال– لعالم الحب المرتبط بالخير والعشق والحرية والحياة. كما يحُيل هوى الكراهية على مجموعة من المشاعر الانفعالية السلبية الطالحة كالأرهاب، والغضب، والحقد، والترويع، والخوف، والانغلاق..في حين يحُيل هوى الحب على مجموعة من المشاعر الصالحة النبيلة، مثل: الحرية، والعشق، والاستقلالية، والانفتاح، والتجديد، والبناء والتسامح.

بينما أوضحت دراسة عبده رمضان كامل (٢٠١٣م)، أسباب كراهية اليهودي لذاته داخل الرواية العبرية المعاصرة "أمنيات كأس العالم" لأشكول نفو، وبين معاناته الدائمة التي قد تكون هي سبب في كراهيته لذاته. واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، وتوصلت الدراسة

إلى عدة نتائج أهمها: فكرة كراهية الذات اليهودية ليست مرتبطة بظروف صعبة يعيش اليهود في ظلها، وتزول بمجرد زوال تلك الظروف، ولكنها ملازمة لليهود في كل مكان وزمان وكأنها جزء من تركيبته الجينية. لم تظهر فكرة كراهية الذات اليهودية سوى حديثًا؛ نظرًا للمد العلماني في صفوف اليهود، وتوقف النظر إلى الإله على أنه مسئول عما ينزل بهم من كوارث، ومحاولة البحث عن تفسير لتلك الكوارث في أفعالهم. كما وضحت الدراسة أيضًا أن تلك الكراهية تولد مجموعة من السلوكيات والمشاعر لدى الكاره لذاته، كاليأس والسلبية، إدمان وتدخين المخدرات، وكراهية الدولة، والرغبة في النزوح عنها إلى الأبد، حيث يصل الأمر أحيانًا إلى حد الرغبة في الإقدام على الانتحار رغم تحريم اليهود له.

كما حظي خطاب الكراهية بحظ وافر من الدراسات في مجالات علمية عدة خارج نطاق الأدب، إلا أن الدراسات في مجال الإعلام كان لها النصيب الأكبر من هذه الدراسات لما للإعلام من دور في نشر خطاب الكراهية ومن هذه الدراسات: دراسة صلاح الدين عمراوي ويوسف مقعاش (٢٠٢٢م)، التي اهتمت بأثر خطاب الكراهية في مواقع الفيسبوك وتسليط الضوء على بعض الآليات لمواجهة هذا الخطاب، والتعرف على أنماط خطاب الكراهية وأشكاله المتداولة في مواقع الفيسبوك في الجزائر، والتعرف أيضًا على أثر خطاب الكراهية على الشباب الجزائري وعواقبه على البناء الاجتماعي. وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي معتمدة على استمارة الاستبيان ووزعت على عينة عمدية قوامها ٧٣ مفردة موزعة عبر ولايات الوطن بطريقة العينة العمدية. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية بين خطاب الكراهية عبر مواقع الفيسبوك وأثره على الجمهور من وجهة نظر المبحوثين، وتؤثر خطابات الكراهية على الجمهور الجزائري بصورة عميقة في ترسيخ ممارسات عنصرية بين أبناء الوطن الواحد.

بينما اهتمت دراسة نصيف جاسم (٢٠١٩م)، التعرف على خطاب الكراهية والتعصب والطائفية لتنظيم الدولة (داعش)، هذا بالإضافة إلى التعرف على شكل وقوالب خطاب التنظيم (المجلات). وقد اعتمدت الدراسة على تحليل مجلة دابق، ومجلة رومية، ودار الإسلام وصحيفة النبأ، وهي مجلات انتشرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي تركز على الخطاب الإعلامي لتنظيم داعش. قامت الدراسة بعمل تحليل مضمون لخطابات تلك المجلات. وتوصلت الدراسة إلى أن أسلوب الكراهية والتطرف والنعرات الطائفية، هي سمات الخطاب الدعائي الإعلامي للتنظيم، واستغلت القنوات الإعلامية كافةً لإيصال رسائله لإرهاب الآخر. كما ركز خطاب الكراهية

والتطرف والإرهاب للتنظيم على شرعية مواقف التنظيم ومظلومية المسلمين في العالم، والبلاد الإسلامية خصوصًا (حسب اعتقاده) وأن خطاب العنف والتطرف نتيجة ما يتعرض له المسلمون في العالم وخاصة على يد العدو البعيد والقريب على حد سواء.

في حين ركزت دراسة Elsherief. Mai, et al (2018)، على السلوكيات المعادية للمجتمع بما فيها المضايقات عبر الإنترنت ونشر خطاب الكراهية؛ وذلك من خلال دراسة مقارنة للمحرضين على خطاب الكراهية والمستخدمين المستهدفين على "توتير". بالإضافة إلى ذلك اهتمت الدراسة بالتعرف على القوى الفاعلة والضحايا المستهدفة لهذه الخطابات، كما اعتمدت الدراسة على تحليل ٢٧٣٣٠ تغريدة تحض على الكراهية تم الحصول عليها من خلال معجم مضغوط لـ Hate base. أكدت الدراسة على أن المحرضين على الكراهية يستهدفون عددًا من المستخدمين المرئيين والذين يشاركون بتعليقاتهم التي تحض على الكراهية واستخدام لغة الإساءة التي تؤكد على الغضب والاكتئاب وعدم الاعتدال مما يزيد من حدة المشكلة.

بينما تناولت دراسة خالد لمسيح (٢٠١٧م)، الدور الذي تقوم بِه شبكات التواصل الاجتماعي في تكريس خطاب الكراهية وذلك من أجل دراسة التواصل لرواد شبكات التواصل الاجتماعي، والتعرف على أسباب ودوافع مروجي خطاب الكراهية عبر شبكات مواقع التواصل الاجتماعي، والعمل على إيجاد حلول مناسبة للحد من خطاب الكراهية ولغة العنف عبر هذه الشبكات، وقد طبقت هذه الدراسة على عينة عشوائية بسيطة لعدد محدود من رواد شبكة التواصل الاجتماعي والذي بلغ عددهم ١٠٠ مبحوث ومبحوثة والمتباينين على مستوى التغيرات الاجتماعية، وتوصلت الدراسة لعدة نتائج منها: وجود علاقة ارتباطية بين خطاب الكراهية والأفكار والمعتقدات السائدة عند رواد مواقع التواصل الاجتماعي. كما أظهرت الدراسة أيضًا أن للجوانب الاجتماعية دورًا في تكريس خطاب الكراهية والتحريض على العنف، خاصة في ظل الظروف والممارسات المرتبطة بالمحيط الاجتماعي للرواد المبحوثين، والبعض اعتبر أن خطاب الكراهية يُعد متنفسًا أو رد فعل لما هو ممارس في واقعهم الاجتماعي.

أما من حيث الدراسات الدينية والقانونية: فقد جاءت دراسة فيصل حسن أحمد عبد الله (٢٠٢١م)، لتتعرف على أسباب انتشار خطاب الكراهية في المجتمع الإماراتي والنتائج المترتبة عليه، ومواجهة الخطورة التي يشكلها، اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي وذلك من خلال تحليل نصوص قانون التمييز والكراهية، للتعرف على أوجه القصور التي تعتري هذه

النصوص خاصة فيما يتعلق بأركان جريمة إثارة خطاب الكراهية والجرائم المتصلة بها، والجزاءات المقررة لتلك الجرائم، من أجل التوصل إلى الحلول التشريعية التي تُسهم في مواجهة الخطورة التي تُشكلها تلك الجرائم على المجتمع الإماراتي. وتوصلت الدراسة إلى أن قانون التمييز والكراهية لم يقتصر على المساءلة القانونية للأشخاص الذين يقومون بارتكاب جريمة إثارة خطاب الكراهية، بل جاءت نصوص لتشمل من يقومون بارتكاب بعض الأفعال المتصلة بها، كمن يقوم بالإنتاج والتعامل بالأشياء التي من شأنها إثارة خطاب الكراهية، ومن يقوم بالانضمام للتنظيمات والجماعات ذات الغرض الخاص بإثارة خطاب الكراهية، وتوصلت الدراسة أيضًا إلى أن قانون التمييز والكراهية لم يتضمن تشديدًا للعقوبات المقررة للأفعال التي تُشكل الجرائم بموجب قانون العقوبات الأساس أو غيرها من القوانين؛ وذلك في الأحوال التي يتم ارتكابها بدافع الكراهية.

في حين اهتمت دراسة أركان هادي عباس البدري (٢٠١٩م)، بالتعرف على الحدود الفاصلة بين خطاب الكراهية وحرية التعبير عن الرأي والجهود الدولية المبذولة للحد من خطاب الكراهية في نطاق القانون الدولي الجنائي والتطرق إلى اجتهادات المحاكم الجنائية الدولية، وتوصلت الدراسة إلى عدم وجود تعريف واضح ودقيق لخطاب الكراهية على المستوى الدولي وتعارضه مع الحق في حرية الرأي. كما أكدت الدراسة أيضًا على أن المجتمع الدولي لم يكن موفقًا في مواجهة الكراهية على المستوى الجنائي. ويتضح ذلك في النظم الأساسية للمحاكم الجنائية الدولية، إذ إنها استبعدت كل صور التحريض، ومنها خطاب الكراهية، من دلالة المحكمة حيث لم يكن خطاب التحريض متعلقًا بجريمة تدخل ولاية هذه المحكمة.

أما دراسة محمد ثامر السعدوني (٢٠١٦م)، فقد دعت إلى تبيان الحماية القانونية من مخاطر خطاب التعصب الديني بوصفه انتهاكًا لحظر الكراهية، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي كمنهج رئيس لتحليل بعض النصوص الدولية المتعلقة بموضوع الدراسة، وبعد تحليل العديد من القوانين والاتفاقيات الدولية بشأن التعصب الديني وما نتج عنه من تمييز وحظر لخطاب الكراهية. توصلت الدراسة لعدة نتائج أهمها: على الرغم من إقرار العديد من القوانين الدولية والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان بوجود تداخل بين خطاب الكراهية والتعصب الديني إلا أن المحكمة الأوروبية لم تتخذ مسلكًا واضحًا فيما إذا كانت الحماية التي تقررها تعترف بحرية العقيدة والدين أم إنها تقصد من ذلك حماية أتباع هذا الدين أو المعتنقين له. كما أكدت على أن عبارات النصوص التي تحظر التمييز الديني أو الكراهية الدينية غامضة مما يُمهد الطريق

لاستخدام خطير لها من قبل الحكومات، خصوصًا وأن الأصل في الديمقراطية يسمح للأفراد بحصر خلافاتهم في الكلام، كما توصلت أيضًا إلى أن خطاب الكراهية يرتبط بشكل تلقائي بحرية الدين والمعتقدات وحرية التعبير ولكنه يختلف عنهما من حيث أنه يتوقف على مدى استجابة المتلقي للخطاب أو الفعل المترتب على خطاب الكراهية.

المحور الثاني: دراسات تناولت رأس المال الاجتماعي

حظيت دراسات رأس المال الاجتماعي باهتمام عدد كبير من الباحثين في السنوات الأخيرة، كونه أحد أهداف التنمية المستدامة؛ وذلك في مجالات علمية عدة منها: الإعلام والأدب وعلم الاجتماع ...إلخ، ومن هذه الدراسات في مجال الإعلام على سبيل المثال: دراسة سلوى أحمد محمد (٢٠٢١م)، التي سعت إلى تحديد أبعاد رأس المال الاجتماعي بالمجتمع الافتراضي لدي الشباب الجامعي بالصعيد، وأبعاد ترويج ثقافة التطوع؛ وذلك من خلال إجراء دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجامعي بالصعيد. وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها: أن مستوى أبعاد رأس المال الاجتماعي الافتراضي وترويج ثقافة التطوع لدى الشباب الجامعي بالصعيد مرتفعًا، والحرص علي توفير شبكة معلومات إلكترونية عن آليات التطوع بالمجتمع، وتوظيف معطيات الثورة التكنولوجية في تقديم الخدمات التطوعية، والعمل علي تطوير القوانين والتشريعات المنظمة للعمل التطوعي، وهو ما يتفق مع النظرة العالمية لظاهرة التطوع الإلكتروني التي أصبحت ترتبط بشكل كبير بأبعاد رأس المال الاجتماعي الافتراضي ودورها في زيادة إقبال الشباب الجامعي علي المشاركة في الأعمال التطوعية.

بينما هدفت انتصار سعود حثلان وعفاف محسن الأنسي (٢٠١٩م)، **في مجال الأدب** إلى الكشف عن دور رأس المال الثقافي ورأس المال الاجتماعي في تكوين مهارات معرفية ولغوية خاصة تستفيد منها الأديبة السعودية. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي عن طريق إجراء مقابلات متعمقة مع إحدى عشرة أديبة سعودية متخصصة في العمل الأدبي. وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها: أن غالبية الأديبات قد استفدن من رأسمالهن الثقافي والاجتماعي، سواء المُتجسد في التنشئة الأسرية، وتنمية حس المعرفة، وتقدير الكتب والمكتبة، أو رأس المال الثقافي الموضوعي من خلال وجود هذه الكتب والمراجع. كما أن شغف الأديبة بالقراءة وتعلم ما هو جديد؛ يعد من أكبر مصادر رأسمالهن الثقافي، حيث اتفقت جميع الأديبات (أفراد العينة) على ذلك، والحصول على المعلومات بالجانب الأدبي كانت أحد موارد

رأس المال الاجتماعي لدى بعض الأديبات، كما أن غالبية الأديبات ذكرن أن رأس المال الاجتماعي لم يُفدهن في ظهورهن الأدبي وانتشارهن؛ لكن بعضهن أشرن إلى أن له دورًا من خلال التزكية أو العلاقات مع الإعلام.

وعلى صعيد آخر، ظهرت العديد من الدراسات في مجال علم الاجتماع منها: دراسة منال رجب عبدالله (٢٠١٧)، التي اهتمت بالتعرف على دور أستاذ الجامعة في تكوين رأس المال الاجتماعي وانعكاساته على الطالبة الجامعية، واعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعي، وتم اختيار عينة الدراسة من سجلات الكلية واحتوت على عينة من أساتذة الجامعة بلغ عددهم ٦٠ أستاذًا جامعيًا في العام ٢٠١٦م، وكان من أبرز النتائج ما يلي: تعددت وجهات النظر حول مفهوم رأس المال الاجتماعي، مما يعني الاعتقاد بأن الآخرين في أسوأ الأحوال لن يؤذوك، كما كشفت الدراسة الميدانية أن النسبة الكبرى لمن يحظى بعملية الثقة داخل المجتمع بالنسبة للأستاذة الجامعية، يتجه إلي الزوج، ثم يليه الإخوة حيث تمُثل روابط الدم وصلة الرحم والخوف عليه، ثم يليه الأهل والأقارب نتيجة الصلة العائلية والنسب، ثم يليه زميلات العمل–وكانت نسبة بسيطة – كما أكدت معظم أفراد العينة أنهن استفدن من الأنشطة الطلابية (الدينية، الثقافية، الاجتماعية) التي عادةً ما تُسهم في زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي وزيادة المعارف الجديدة.

في حين ركزت دراسة دينا مفيد علي (٢٠١٦م)، على الدور الذي يلعبه رأس المال الاجتماعي في دعم المشروعات الصغيرة بالقرية المصرية، والتعرف على دور الشبكات الاجتماعية في دعم تلك المشروعات، هذا بالإضافة إلى التعرف على القيم الثقافية الشائعة بين أصحاب المشروعات الصغيرة. واستخدمت الدراسة نظرية رأس المال الاجتماعي كموجه نظري وأجريت الدراسة على عدد من المشروعات الصناعية في قرية "باسوس" التابعة لمحافظة القليوبية، وجمعت الدراسة بين عدد من الأساليب الكمية والكيفية. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: تنوع مصادر رأس المال الاجتماعي لدى أصحاب المشروعات الصغيرة كما تؤكد على وجود شبكة من العلاقات (القرابية والعائلية، وعلاقات الجيرة والأصدقاء والمعارف)، وأكدت أيضًا على أهمية وجود شبكات العلاقات والروابط الاجتماعية التي تحكمها عددًا من القيم والمعايير؛ كالثقة، والاحترام، والتعاون، والمنفعة المتبادلة، ومجموعة الالتزامات والواجبات والتوقعات.

التعليق على التراث البحثي:

يتضح من عرض التراث البحثي أن قضيتي خطاب الكراهية ورأس المال الاجتماعي قد حظيتا بنصيب وافر من الدراسات، وهذا يعكس أهمية تناول القضيتين من جانب تخصصات معرفية مختلفة منها: الأدب والإعلام والقانون والاجتماع...إلخ. واتضح من عرض الدراسات الآتي:

١- بالرغم من تناول القضيتين في مجالات علمية عدة إلا أن الدراسات في مجال الإعلام، قد حظيت بنصيب وافر من التناول لما للإعلام من دور في نشر خطاب الكراهية، حيث تعد وسائل مصدرًا رئيسيًا في الحصول على المعلومات وتصديرها؛ لأنها تُعرض في فضاء واسع يمكن من خلاله نشر العديد من المصطلحات التي تحث على خطاب الكراهية. كما اهتمت الدراسات بدور القوانين الدولية في دحض خطاب الكراهية.

٢- أكدت معظم الدراسات على أن مواقع التواصل الاجتماعي تلعب دورًا فعالا في إحداث العديد من التغيرات على كافة الأصعدة الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية مما ساعد على تأكيد دورها في تشكيل رأس المال الاجتماعي وتقوية بعض العلاقات والروابط الاجتماعية. وأشارت الدراسات أيضًا إلى أن الأزمات والصراعات التي يتعرض لها الأفراد في مجتمع ما تؤدي إلى تجاوز العلاقات الاجتماعية والقضاء عليها، كما أشارت أيضًا إلى أن البعض قد أساء استخدام تلك المواقع بنشر بعض الأفكار التي ساعدت على زعزعة الأمن العام وتنمية خطاب الكراهية، سواء بصورة مسموعة أو مقروءة بصورة أو بأخرى، مما أدى إلى تآكل رأس المال الاجتماعي.

٣- حاولت عدد من الدراسات العربية الربط بين الخلفيات الاجتماعية والثقافية والانتماءات السياسية المختلفة. لمستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي ومتابعي الأعمال الأدبية. وقدرة هؤلاء على الترويج لخطاب الكراهية بوسائل شتى.

٤- ركزت معظم الدراسات المعنية بخطاب الكراهية على الأبعاد النفسية المترتبة على سيادة هذا الخطاب مغفلة التركيز على الجوانب الاجتماعية.

٥- لم تعتمد الدراسات التي تناولت خطاب الكراهية في أي مجال من المجالات على نظرية رأس المال الاجتماعي فمعظم الدراسات ركزت فقط على تقديم إطار معرفيٍّ نظريٍّ حول

خطاب الكراهية من حيث المفهوم والمظاهر وما ينشر على مواقع التواصل الاجتماعي ولا تركز على الدور الذي يفعله هذا الخطاب في تلاشي الروابط الاجتماعية؛ لذا تحاول الدراسة الراهنة أن تدرس خطاب الكراهية من منظور مُغاير عن ما ورد في التراث البحثي لمعرفة الدور الذي يلعبه خطاب الكراهية في تآكل رأس المال الاجتماعي في الأعمال الروائية لكونها أكثر تداولا وتأثيرًا على حياة القراء.

رابعًا: الإطار النظري الموجه للدراسة:

سعت الدراسة الراهنة إلى بلورة مدخلا نظريًا لقراءة وتفسير الأعمال الروائية محل الدراسة. وقد انطلقت من نظرية رأس المال الاجتماعي لما يُشكله من أهمية في تماسك بنية أي مجتمع. وهو ما يمكن توضيحه فيما يلي:

- **نظرية رأس المال الاجتماعي: لمحة عامة**

على الرغم من حداثة نظرية رأس المال الاجتماعي، إلا أننا يمكن أن نلمح جذور المفهوم في كتابات بعض المؤرخين ورواد علم الاجتماع، ويعود ذلك إلى أن الترابط الاجتماعي يُعد واحدًا من أهم قيم رأس المال الاجتماعي؛ لذا نجد تباين المفهوم لدى العديد من العلماء والمفكرين فقد أشار المؤرخ والمنُظر السياسي الفرنسي "**إلكسيس دي توكفيل Alexis de Tocqueville**" (١٨٠٥- ١٨٥٩م)، في كتابه عن "الديمقراطية في أمريكا" والمكون من جزءين: الأول، عام ١٨٣٥م والثاني، عام ١٨٤٠م، تحدث فيهما عن تطور الديمقراطية في الولايات المتحدة الأمريكية وأرجعها إلى الترابط الاجتماعي ونزوع المواطنين إلى المشاركة في الحياة العامة. (إنجي محمد، ٢٠٢٠م: ١٦)، كما أكد عالم الاجتماع الفرنسي "**أميل دور كايم Emile Durkheim**" (١٨٥٨- ١٩١٧م)، على أن فقدان شبكة العلاقات الاجتماعية المحيطة بنا تؤدي إلى انهيار القيم والمعايير الأخلاقية، الذي أطلق عليه حالة الأنومي الذي دفع إلى تنامي ظاهرة الانتحار بين الفرنسيين نتيجة الخلل في القيم والمعايير أعقاب الثورة الفرنسية، كما أشار "**كارل ماركس Karl Marx**" (١٨١٨- ١٨٨٣م)، إلى أهمية الوعي والتنظيم داخل الطبقات الاجتماعية؛ كونه يؤدي إلى تغيير نوعية العلاقات السائدة في المجتمع، وأن غياب الوعي يؤدي إلى وجود الصراع الطبقي الناتج عن تغيير العلاقات السائدة (محمد نصر وآخرون، ٢٠٠٧م: ٨). ويمُكننا أيضًا أن نلمح استخدامات هذا المفهوم لدى "**جورج زيمل Georg Simmel**"

(١٨٥٨– ١٩١٨) حيث ذهب إلى أنه نمط من أنماط تأكيد الثقة بين الأفراد داخل المجتمع. ويُعد "**جون ديوي John Dewey**" (١٨٥٩– ١٩٥٢م) أول من استخدام مفهوم رأس المال الاجتماعي بصورة صريحة، مؤكدًا على أهمية الاتصال للتعبير عن هذا الرأس المال (طلعت السروجي، ٢٠٠٩م: ١١).

لم يلق المفهوم انتشارًا وذيوعًا إلا من خلال أعمال المفكر الفرنسي "**بيير بورديو Pierre Bourdieu**" (١٩٣٠–٢٠٠٢م) من خلال الأطروحات التي قدمها عن أنواع رأس المال، ويعرَف بورديو رأس المال الاجتماعي بأنه: "رصيد اجتماعي من العلاقات والقيم الإيجابية والمُتمثلة في التعاون، والثقة، والعقلانية ويتقابل مع الرصيد الذي يمتلكه الفرد من رأس المال المادي؛ لهذا يمكن القول بأن رأس المال الاجتماعي هو رصيد قابل للتداول والتراكم مثله مثل رأس المال المادي" (هاني خميس، ٢٠٠٨م: ٧).

كما أكد **جيمس كولمان Jemes Colman**" (١٩٢٥– ١٩٩٥)، على أهمية رأس المال الاجتماعي وعرَّفه بأنه: "الوظائف التي يقوم بها الفرد فهو ليس كيانًا مفردًا ولكنه مجموعة متنوعة من الكيانات التي تمتلك صفتين مشتركتين تتآلف وتتكون من شكل من أشكال البنية الاجتماعية، وتُسهل وتُمكن أفعالا معينة بواسطة الأفراد داخل هذه البينة، كما عرَّفه بأنه جملة التقاليد والمعايير الاجتماعية التي تصل بين أجزاء المجتمع الواحد وتمنع من انهياره وتدهوره" (طلعت السروجي، ٢٠٠٩م: ٢٣).

هذا، وقد برز مفهوم "رأس المال الاجتماعي" بصورة أوسع انتشارًا في أوائل التسعينيات من القرن العشرين عندما صدر كتاب عالم السياسة الأمريكي **روبرت بوتنام Robert Putnam** (1995) "اللعب المنفرد للبولنج" والذي يحلل الأزمة التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية ونتج عنها انهيار غير مسبوق في شتى مناحي الحياة المدنية والاجتماعية والسياسية. ومن خلال تلك الأزمة اكتشف أن هُناك تآكلا في رأس المال الاجتماعي على مستوى المجتمع الأمريكي. ومن خلال ذلك قدم بوتنام تعريفًا لرأس المال الاجتماعي وعرفه بأنه: "مميزات اجتماعية منظمة تتضمن الشبكات والمعايير والثقة الاجتماعية التي تسهل التنسيق والتعاون والمنفعة المتبادلة" (وليد زكي، ٢٠١٥م: ١٣٦–١٣٧). كما أشار أيضًا إلى أن الجريمة تؤدي إلى تدهور رأس المال الاجتماعي وهو ما أطلق عليه "الدائرة الشريرة Vicious Circle"، والتي تتمثل في المستويات المنخفضة من الثقة والتماسك التي تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة والتي

تؤدي بدورها إلى انخفاض مستويات الثقة والتماسك فيما بين الأفراد (Messner, Steven F., et, 2004:884).

انتشرت أفكار بوتنام حول رأس المال الاجتماعي إلى درجة جعلت العديد من التخصصات العلمية في مجال العلوم الاجتماعية تستعين بالنظرية والمفهوم في تحليل الأوضاع المختلفة في المجتمع خاصة مع حلول الألفية الثالثة وتزايد صور العنف والإرهاب والتعصب ورفض الآخر... وغيرها من الظواهر التي باتت تهُدد المجتمعات البشرية. ولهذا، تناول العديد من الباحثين والمفكرين المفهوم سعيًا لوضع إطار نظريٍّ متكامل يمكن من خلاله تفسير ما يحدث في المجتمعات من ظواهر. وهنا برز تساؤل مهم: لماذا يتآكل رأس المال الذي راكمته الشعوب عبر تاريخها؟.

ومن هنا سعى **فيلدFiled (٢٠٠٣م)** إلى الاهتمام بنظرية رأس المال الاجتماعي؛ وركز على قضية العلاقات وفكرة الشبكات الاجتماعية والثروة المتاحة في المجتمع، والتفاعل الذي يمُكَن الناس من بناء المجتمعات واعتماد بعضهم على البعض وربط النسيج الاجتماعي وتدعيم خبرات الشبكات الاجتماعية والعلاقات وإيجاد الثقة. لكونها القيمة التي تحكم الثقة بين الأفراد مما يُساعد على تعميق النسيج الاجتماعي للمجتمع والمؤسسات الاجتماعية وتُصبح مجموعة مشتركة من القيم والمزايا والتوقعات داخل المجتمع ككل، وبذلك يمتد مفهوم رأس المال الاجتماعي ليشمل بناء وإعادة بناء المجتمع والثقة في أشكال ونظم الاقتصاد في المجتمع (طلعت السروجي، ٢٠٠٩م: ٣٨).

وتوالت الإسهامات التي تؤكد على أهمية الشبكات الاجتماعية في تماسك بنية أي مجتمع، بينما أشار **أحمد زايد وآخرون** (٢٠٠٦م) لمفهوم رأس المال الاجتماعي بوصفه مفهومًا لصيقًا بالبناء الاجتماعي حتى يتمكن المفهوم من تأدية الغرض منه لابد له أن يرتبط بالفعل الاجتماعي، وأشار أيضًا إلى وجود مصدرين لرأس المال الاجتماعي: يتمثل الأول، في العلاقات والشبكات، ويتمثل الثاني، في منظومة القيم التي تحرك المفهوم والتي يأتي على رأسها الثقة والشفافية والتعاون وقبول الآخر (أحمد زايد وآخرون: ٢٠٠٦م: ٦).

كما حدد **بوتنام** أهمية رأس مال الاجتماعي في ثلاث نقاط (طلعت السروجي، ٢٠٠٩م: ٣٦):

١- يسمح رأس المال الاجتماعي للمواطنين بحل المشكلات الجماعية بسهولة، إذا ما أحسن الناس التعاون مع بعضهم البعض، والمسئولية الفردية للأفراد وما يتوقعه الفرد من عمل

الآخرين، ويعد ذلك ميكانيزم مؤسسي وكقوة جمعية لوصف السلوك، وتعد المعايير والشبكات أداة وقوة لميكانيزم المؤسسة.

٢- تسهيل للمواطنين وخاصة الجاليات التقدم بيسر حيث يثق المواطنين في الاقتصاد والتجارة والمؤسسات ويحترموا التفاعل المجتمعي.

٣- زيادة تحسين وتوسيع الوعي بطرق مختلفة أعمال الناس وثقتهم في الاتصال بالآخرين سواء أعضاء في الأسرة، أو الأصدقاء وعندما تنجح أعمال الناس يمكن أن يكون لوجهات نظرهم ثقل وفرص أكثر.

وبناءً على ما تقدم من عرض لإسهامات المهتمين بنظرية رأس المال الاجتماعي، يمكن استخلاص بعض المقولات النظرية التي تُعد بمثابة موجهات للدراسة الراهنة وهي:

- إن مفهوم "رأس المال الاجتماعي"، وفقًا لتعريف بيربورديو، يُعد مفهومًا مركبًا يرتبط بعدد من العناصر البنائية في المجتمع التي تؤكد على قوة العلاقات الاجتماعية، والتي تتغير بتغير الظروف والتحولات الاجتماعية المختلفة، كما أنها تختلف من مجتمع لآخر.
- يمُكن النظر للعلاقة بين خطاب الكراهية وتآكل رأس المال الاجتماعي، وفقًا لتعريف جيمس كولمان، لرأس المال الاجتماعي باعتباره شكلا من أشكال البنية الاجتماعية داخل أي مجتمع، التي تُسهل وتُمكن الأفراد من تكوين علاقات اجتماعية قوية، كما يوجد عوامل تعمل على تآكله بل تساعد على انهياره وتُعد بمثابةً رأس مال سلبي يؤدي بدوره إلى تقلص الثقة بين الأفراد وزعزعة الاستقرار من خلال نشر صور الكراهية ونبذ العنف. وتُعد النصوص المكتوبة من أخطر العوامل التي تؤدي إلى تآكل رأس المال الاجتماعي لأنها أكثر تأثيرًا في حياة القراء.

خامسًا: الإجراءات المنهجية:

١- نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى فئة الدراسات التحليلية التي تعتمد على تحليل الأعمال الأدبية تحليلا كيفيًا؛ بهدف التعرف على دور خطاب الكراهية في تآكل رأس المال الاجتماعي داخل السياقات التي دارت فيها الروايتان لبهاء طاهر؛ لذا اعتمدت الدراسة على طريقة تحليل المضمون الكيفي لرصد صور خطاب الكراهية ودوره في تآكل رأس المال الاجتماعي في الروايتين: خالتي صفية والدير وواحة الغروب، وقد قسمت فئات التحليل إلى فئتين وهما:

الفئة الأولى: تحليل الدور الذي يقوم بِه خطاب الكراهية في تآكل رأس المال الاجتماعي ويندرج تحت هذه الفئة الفئات الفرعية التالية المتمثلة في: التمثيلات الاجتماعية ودورها في بناء هوية الشخصيات وتكوين أفكارهم، وتوضيح نقاط القوة والضعف، وإلى أي مدى تؤدي أزمة الثقة دورًا في تآكل رأس المال الاجتماعي وتأجيج الصراع داخل السياقات الاجتماعية التي تدور فيها أحداث الروايتين.

أما الفئة الثانية: فتمثلت في التغيرات التي لحقت بالمجتمع وما نتج عنها من اندثار عدد من القيم الإيجابية التي صورها الكاتب وتلاشي بعضها. حيث تضمنت هذه الفئة جدلية الحب والموت، والحب والكراهية والصراع الدائر بين أبناء القبيلة الواحدة والقبائل الأخرى في فترات تاريخية مختلفة تصورها الروايات.

٢- عينة الدراسة ومبررات اختيارها:

تمثلت عينة الدراسة في روايتي "خالتي صفية والدير ١٩٩١م" وواحة الغروب٢٠٠٨م" للروائي "بهاء طاهر"، واللاتي تم اختيارهما بطريقة عمدية لمعاينة موضوع الدراسة لعدة أسباب منها:

أ-"**خالتي صفية والدير ١٩٩١م**"، لكونها أكثر الروايات تصويرًا للدور الذي يلعبه خطاب الكراهية في تآكل رأس المال الاجتماعي داخل قرية مصرية سادها الوئام والمحبة والتسامح والإخاء والمساواة وقبول الآخر عبر الزمان، إلا أن انتشار الشائعات وغياب الثقة بين شخصيات الرواية قد أسهم في تآكل المخزون الثقافي من الحب والمودة بين أفراد المجتمع، كما لعبت البيئة دورًا في تلاشي هذا المخزون.

ب-"**واحة الغروب ٢٠٠٨م**"، هي أيضًا تعكس الصراع بين جماعتين تسكنان في واحة من الواحات المصرية أطلق عليها الكاتب "واحة الغروب"، ولعل الغروب هنا يُشير إلى معانٍ ترتبط بسيادة خطاب الكراهية بين سكان الواحة، وبينهم وبين السلطات الحكومية التي أسهمت في تأجيج الصراع بين الجماعتين، ولعلها أيضًا تُشير إلى غياب القيم والمخزون الثقافي الذي يؤدي إلى تفكك وتماسك بنية المجتمع والعلاقات الاجتماعية بين أفراده.

كما أكد الكاتب أيضًا على أوجه الاختلاف التي تميُز تلك الواحة عن غيرها من الواحات. فالصحراء هي مكان الاكتمال والسكينة كما إنها تجمع أيضًا الصراع بين الحياة والموت؛ لذا

تجلَّى بهاء طاهر في الكتابة عن واحة من واحات الصحراء الغربية بصورة تخيلية جعلتها أكثر تميزًا ليحفز القارئ على متابعة النص، فالواحة التي يتحدث عنها تختلف عن غيرها، إذ يقول عنها راهب الصحراء أحمد فخري: "واحة سيوة تختلف اختلافًا تامًا عن أي شيء في وادي النيل. في مظهرها العام وعمارة بيوتها وملابس سكانها وملامح وجوههم ولغتهم وموقفهم تجاه غيرهم من الناس الذين يزورون واحاتهم، وحياتهم في داخل منازلهم وفي خارجها، كل ذلك يمكن أن يذكره من يزور الواحة فيؤكد على أنه ليس بعد في وادي النيل، بل يشعر أنه أصبح في مكان يختلف عن كل ما عرفه في مصر سواء في الدلتا أو في الصعيد أو في الصحراء" (أحمد فخري،١٩٧٣م: ٣٣).

سادسًا– التحليل الاجتماعي للنصوص الروائية:

منح بهاء طاهر للقارئ الفرصة من خلال قراءة الروايتين لإعادة قراءة الآخر المختلف، والكشف عن غياب الحب في حضور الكراهية بالإضافة إلى الكشف عن كوامن المكان والدور الذي يقوم بِه في حياة الشخصيات. فالمكان هو من ساعد على توليد العلاقات الطيبة وبناء رأس مال اجتماعي وذلك من خلال علاقات الحب والتسامح بين أبناء المنطقة الواحدة وخير دليل على ذلك رواية "**خالتي صفية والدير**" التي تُعبر عن الانسجام الديني بين المسلمين والمسيحيين الذين يعيشون في إحدى قرى صعيد مصر والتي تتسم بالود والمحبة وقبول الآخر، لكن سرعان ما تتحول هذه العلاقات إلى عنف وتظهر بها مظاهر الكراهية والمعاناة التي تؤدي في كثير من الأحيان إلى الأمراض والموت عندما ترفض الشخصيات بعضها البعض وينتشر الصراع لقضاء كل منهم على الآخر.

أما في رواية "**واحة الغروب**"، فقد عبَر الكاتب عن فشل الخلاف التاريخي بين قبائل الشرقيين والغربيين في واحة سيوة، ذلك الخلاف الذي أدى إلى فقدان الثقة بين الجماعتين. والتي أدت بدورها إلى تشوه العلاقات الاجتماعية، مما ساعد على ضعف الروابط والصلات الاجتماعية وأسهم في انعدام الدفء العاطفي بين الشخصيات الروائية، لذا حاولت الدراسة الاهتمام بالجانب الاجتماعي المشِكل لخطاب الكراهية ودوره في التأثير على العلاقات الاجتماعية مما أدي إلى تآكلها وتلاشيها؛ وذلك لما شكَله خطاب الكراهية من حضور داخل النص الروائي ينبغي الالتفات إليه.

١- العنوان والدلالة السوسيولوجية:

عادةً ما تُشي عتبة النص بنوع العمل الأدبي والمدرسة الأدبية التي ينطلق منها الأديب، سواء أكانت واقعية أم رومانسية أم تاريخية، أم خيالا علميًا، فعنوان الرواية الأولى "**خالتي صفية والدير**" لا يُعبر عن أسماء أشخاص أو أماكن حقيقية وإنما يُعبر عن عملٍ مُتخيلٍ، وفقًا لتصريح الكاتب نفسه، ففي مقدمة الرواية يقول: "لقد حرصت على أن أقول إن كل أحداثها من نسيج خيالي. ليس بالظبط! فجنين الخيال أيضًا هو الواقع" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٣٧). يجمع العنوان في رواية، "خالتي صفية والدير"، معنى دلاليًّا ثنائيًّا يجمع بين اسم شخصية ومكان للعبادة، فصفية اسم شخصية تتسم بالصفاء والنقاء وحب الخير للجميع أُضيف إليها لقب "خالتي" وهو رمز يؤكد على مدى القرب والحميمية للشخصية حتى وإن كان هذا اللقب لغير الخال أو العم الفعليين. وبالفعل خالتي صفية هو اللقب الذي كان حسن، راوي الرواية، يُطلقه على صفية بنت خال أمه التي توفي أبواها نتيجة لإصابتهما بمرض الملاريا. أما الشق الثاني من العنوان الدير، فهو المكان الذي يعكس روح القداسة. في هذا المكان ينشب الصراع وتزداد الكراهية وتُفقد الثقة ويتزعزع الأمن والأمان والاستقرار في مكان كان يتسم بالحميمية والقدسية.خاصة وإن خطاب الكراهية لم يتجلَ في العنوان، إنما سُطر في أحداث الرواية بشكل ظاهر أو خفي أثناء سرد الأحداث.

أما في رواية "**واحة الغروب**"، فيدخلنا الكاتب عالمًا مُغايرًا، وهي الحياة داخل واحة وسماها "بالغروب". فعتبة النص بِه"زمكانية"، تُشير إلى مكان له سمات خاصة وزمان يشير أيضًا إلى معانٍ خاصة، لعلها المعاني التي أراد أن يُدخلنا بها الكاتب إلى عالم الواحة بعلاقاتها الواضحة أحيانًا والغامضة أحيانًا أخرى. ولعلها من المفترض أن تتميز بالهدوء والسكينة والتعاون والثقة التي تُميز سكان الواحات حاليًا، خاصةً وإن كانت نائية. إلا أن الغروب في الرواية يشير إلى غياب هذه القيم، كما يُشير الغروب أيضًا إلى لحظة الاختناق النفسي التي شعرت بها الشخصيات الروائية وكأنه هنا هو نهاية الرحلة والموت.

وأيا كانت المعاني التي تحويها عتبة النص، فالكاتب من خلال النص يُدخلنا إلى عالم الواحات بكل ما يحويه هذا العالم من آثار ونقوش ربما تحمل معانٍ خاصة، وكما يُدخلنا إلى عالم العلاقات بين سكان الواحة وبينهم وبين السلطات التي تحكمها، سواء كانت السلطات رسمية أو غير رسمية، ولعل ذلك يُفسر للقارئ لماذا اختار الكاتب هذا العنوان.

٢- محتوى ومضمون الروايتين:

عبر الكاتب في الروايتين عن طبيعة الحياة الاجتماعية في مجتمعين مختلفين: الأول قرية من قرى صعيد مصر "الكرنك" وهي القرية التي نشأ فيها الكاتب؛ لذلك فهو على وعي تام بالعلاقات داخل هذه القرية. كذلك على وعي بالتحولات التي طرأت عليها والتي بدورها تركت آثارًا سلبية على حياة سكان هذه القرية.

وعلى الرغم من أن الكاتب في رواية "خالتي صفية والدير" يوحي للقارئ بأن الرواية تدور على لسان العديد من الشخصيات، إلا أن لها راوٍ واحد وهو الطفل "حسن"، الذي بدأ بسرد أحداث الرواية منذُ أن كان طفلا في الثانية عشرة إلى أن بلغ سن الأربعين، ولم يكن الرواي هو بطل الرواية وإنما استخدمه الكاتب للتعبير عن وقائع وأحداث مر بها وعاصرها منذُ كان طفلا صغيرًا حتى أصبح شابًا كبيرًا.

يحكي حسن عن قريته الصغيرة وكيف كانت الحياة داخلها، خاصة علاقات قاطنيها بالدير الشرقي الواقع داخل نطاق القرية، وكيف كانت العلاقات بين قاطني القرية من المسلمين والمسيحيين علاقات يسودها الود والوئام والهدوء لفترات طويلة من الزمن، خاصة لوجود الدير التاريخي بالقرية. ويوضح الراوي ذلك بقوله: "وكنا باعتبارنا أقرب البيوت إلى الدير جيرانا بمعنى ما، كانوا يهدوننا في المواسم بلحا مسكرا صغير النوى لا تطرحه في بلدنا سوى النخلات الموجودة في الدير، واعتاد أبي في طفولتي – منذ أكثر من ثلاثين سنة – أن يصحبني معه في أحد السعف وعيد ٧ يناير لكي نُعيِّد على الرهبان، وفي عيدنا الصغير كانت أمي تكلفني بأن أحمل من جملة العلب التي تعبئها بالكعك "علبة الدير"، كانت تحتفظ بعناية بتلك العلب المستطيلة البيضاء وتخزنها على مدار السنة كلما اشترى أحدنا حذاء جديدًا.. وفي أواخر رمضان تخرجها وتنفضها من التراب استعدادًا لاستخدامها" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٤٠).

تظل العلاقات هكذا، إلى أن تحدث حادثة عادية سرعان ما تتحول إلى "أزمة" تؤدي إلى هدم وتآكل العلاقات القوية التي كانت تسود القرية. يبدأ الخلاف بوجود علاقة بين "صفية"، الفتاة اليتيمة التي تعيش مع ابنة خالتها، وبين "حربي"، الذي يمر بنفس ظروفها. ورغم علم القرية بهذه العلاقة، إلا أن خاله قرر أن يتزوجها رغم أنه في عمر والدها. وقد قبلت صفية هذا الزواج بعد علمها بأن حربي هو نفسه الذي أقنع خاله بزواجه منها.

تعيش صفية حياة مستقرة مع زوجها، خال حربي، وتُنجب منه طفلا. وتتردد الشائعات داخل القرية حول نية حربي في قتل الطفل الصغير حتى يحظي بالأرض والميراث، تصل إلى الخال هذه الشائعات فيقرر أن ينتقم من حربي خوفًا على طفله، وبالفعل يُعذب البيك حربي عذابًا مميتًا إلا أن حربي قتل خاله دفاعًا عن النفس. ومن هنا بدأت الكراهية بين صفية وحربي، وعلى الرغم من القبض على حربي ودخوله السجن إلا أنه خرج بعد إثبات أنه قتل خاله دفاعًا عن النفس، وبعدها أعلنت صفية عن نيتها في قتله؛ لذلك قام الشيخ إبراهيم، أحد أقاربهما، بإخفائه بالدير ذلك المكان الذي كان يحظى باحترام أهل القرية.

وبناءً على ذلك، تأتي أحداث الرواية في أربعة أجزاء: يحكي الجزء الأول عن الدير والحياة داخله وعن المقدس بشاي، أحد المقيمين بالدير. ويحكي الفصل الثاني عن "صفية" وقصة حبها لحربي. أما الجزء الثالث فيدور حول بعض الشخصيات التي لعبت دورًا رئيسًا في احتدام الصراع بين شخصيات الرواية. أما الجزء الرابع والأخير، فقد أعطى له بهاء طاهر عنوان "النكسة" ذلك العنوان الذي ارتبط بمعانٍ سياسية أرادت الرواية من خلال الأحداث الإشارة إليها.

أما رواية "**واحة الغروب**"، فتُعد من الروايات التي تُعرف "بالبوليفونية Polyphone"* أو متعددة الأصوات بحيث يسرد أحداثها أكثر من راوي. فتحكي لنا الرواية حياة سكان واحة سيوة، وقبل أن ينقلنا الكاتب إلى عالم الواحة والحياة داخلها، يبدأ بالأحداث التي دارت بالقاهرة وقت الثورة العرابية، وتحديدًا من خلال شخصية محمود عبد الظاهر، ضابط الشرطة، الذي كان يُناصر الثورة العرابية، وشهد أحداث دخول قوات الاحتلال الإنجليزي إلى مدينة الإسكندرية. كما يسرد لنا الحياة الخاصة لذلك الضابط، وكيف تعرض للمحاكمة بتهمة مناصرة قادة الثورة ورجالها، تلك التهمة التي عرضته للنفي والعمل بواحة سيوة.

انتقل محمود للعمل بالواحة هو وزوجته الإيرلندية التي تعرف عليها خلال رحلته بأسوان، لم يكن محمود يعرف عن الواحة الكثير، إلا أنه سرعان ما اكتشف كم الصراعات والخلافات بين

*- يعرف ميخائيل باختين البوليفونية بقوله: "أنها الرواية المُتعددة الأصوات ذات الطابع الحواري على نطاق واسع. وبين جميع عناصر البنية الروائية، توجد دائمًا في شكل علاقات حوارية؛ أي أن هذه العناصر جرى وضع بعضها في مواجهة بعضها الآخر، مثلما يحدث عند المزج بين مختلف الألحان في عمل موسيقي (ميخائيل باختين، ١٩٨٦م: ٥٩).

سكانها، تلك الصراعات التي بدأت منذُ فترة زمنية طويلة بين الجماعتين المشكلتين لسكان الواحة (الشرقيون والغربيون)، وبينهما وبين السلطات الحكومية التي تفرض عليهما الضرائب المجحفة.

وعلى الرغم من هذا الخلاف التاريخي الذي أدى إلى انقسامهما إلى فريقين متنازعين، إلا أنهما اشتركا في كُرههما للحكومة التي فرضت عليهما الضرائب المجحفة إلى جانب سوء المعاملة من قبل ممثليها بالواحة.

يأتي محمود، القادم من القاهرة ليعيش الأجواء السائدة بالواحة والتي قد علم بها قبل مجيئه لها من زوجتة الأجنبية التي كانت على علم قوي بما يحدث داخلها من كثرة قراءتها عن الواحة تاريخيًا، يسعى محمود خلال عمله وعلاقاته بكبار رجال الواحة إلى الصلح بين الجماعتين من خلال كسب ود كبار رجال الواحة وتغيير تظراتهما إلى مملثي الحكومة عبر مسارات عديدة وأحداث تتصاعد لتكشف عن حجم الصراع والخلاف بين سكان الواحة من ناحية، وبينهم وبين السلطات الحكومية، ممثلة في محمود ورجاله من ناحية أخرى.

وهكذا، تحكي الرواية عن واقع تاريخي ممزوج برؤية خيالية مبدعة عبر عنها الكاتب في ثمانية عشر فصلا يتحدث كل منها عن شخصية من شخصيات الرواية، إلا أن الأحداث فيها متصلة، ولكنها تؤكد في الوقت ذاته على قضية بعينها، ففي الفصل المعنون: "الإسكندر الأكبر" على سبيل المثال، يتحدث الراوي عن طبيعة الشخصية المصرية التي تؤله الحكام نتيجة لطبيعة العلاقة بين الحكام والحكومة وطبيعة التنشئة التي تلقاها المصريون عبر تاريخهم والتي تختلف كل الاختلاف عن التنشئة في المجتمعات الغربية. وهكذا، فإن كل شخصية من شخصيات الرواية أفرد الكاتب لها فصلا خاصًا ليحدد معالمها ورؤيتها لنفسها وللآخرين.

٣- خطاب الكراهية وتآكل رأس المال الاجتماعي:

سلطت الروايتان الضوء على العديد من أوجه الصراع الذي نجم عن تشوه في العلاقات بين شخصيات الروايتين ومن ثم سيادة صور الكراهية التي أسهمت في تآكل رأس المال الاجتماعي في السياقات التي دارت فيها أحداث الروايتين. والجدير بالذكر، أن مظاهر الكراهية هذه قد أتت نتيجة لصور من المعاناة النفسية لبعض الشخصيات في الروايتين، كما نجمت عن ظروف اجتماعية وتاريخية معينة. وفيما يلي سأتناول صور الكراهية من خلال الأزمات الفردية على مستوى الشخصيات وعلى المستوى الاجتماعي.

١-٣: الأزمات الفردية:

أوضح بهاء طاهر الأزمات الفردية التي تعرضت لها بعض الشخصيات في الروايتين وكانت هذه الأزمات سببًا في انتشار بعض الأفكار والمشاعر السلبية؛ التي أدت بدورها إلى تشوه العلاقات الاجتماعية وساعدت فيما بعد على نشر الكراهية. ففي رواية "خالتي صفية والدير" تعرضت صفية لليتم منذُ صغرها وعاشت حياتها تُعاني من الوحدة في حياة مليئة بالتوتر والألم والمرض، كما حُرمت من التعليم ولازمت البيت نتيجة لإصرار ابنة خالتها "أم حسن" التي قامت بتربيتها اعتقادًا منها بأنها تحافظ عليها وتقيها من شر العين التي كانت تعتقد أنها تلازمها. وهذا ما أوضحه الراوي بقوله: "إن البنية نجمها خفيف، سريعة التعرض للحسد، وإنها منذ دخلت المدرسة انتابتها كل الأمراض والعلل" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م، ٥٤). تعاملت أم حسن مع ظاهرة الحسد كونه مرضًا اجتماعيًا ونفسيًا أثر على صفية صحيًا، مما منعها من إكمال تعليمها وممارسة حياتها الطبيعية. عاشت صفية فترة طويلة في بيت الشيخ إبراهيم وبدأت تكبر مثل بنات جيلها وسرعان ما تقدم لخطبتها العديد من الشبان ولكن الشيخ إبراهيم رفض تزويجها بحجة صغر سنها وأن السنن الشرعية تُحرم الزواج في سن مبكر، والحقيقة لم تكن هكذا وإنما ترجع إلى أن الشيخ إبراهيم يرغب في أن يتزوجها حربي ابن عمه.

شعرت صفية بالحب تجاه حربي لكنه لم يُبادلها نفس الشعور، انتظرت شهور وسنوات لعله يتقدم لخطبتها، إلى أن جاء حربي إلى بيت الشيخ إبراهيم ومعه خاله البك القنصل عسران، ظن الجميع أن حربي جاء ومعه خاله لكي يخطب صفية لنفسه، إلا أنه جاء لخطبتها لخاله البك الذي تجاوز عمره الستين والذي تزوج وترمل مرتين دون أن يُنجب، وهنا كانت الصدمة الأولى في حياة صفية، بعد يُتمها، وهي حرمانها من زواج الشخص الذي تحُبه، صُدمت صفية وصُدم من حولها، فيصف الراوي الموقف بقوله: "ولما ظل أبي صامتًا قال حربي في حماس إنه شرف لأي بنت أن يتزوجها البك ويرفع مقامها، فقال أبي متلجلجا إنه شرف لبيته أن يزوره القنصل، وإنه من أجل ذلك الشرف مستعد أن يعطيه رقبته نفسها لو طلبها أما زواج البنت فلابد فيه من رأيها..لم يكن سهلا على أبي أن يرفض البك مباشرة مثلما رفض بقية الخطاب وحاول بهذا الكلام أن يجد مخرجًا، ولكنه عندما قال ذلك صفق حربي بيديه وقال انحلت المشكلة والحمدلله، هذا الجمل وهذا الجمَال. نسأل صاحبة الشأن" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٥٩).

فقدت صفية الثقة في نفسها وفي الآخرين وشعرت بخيبة أمل في أن يتحقق حلمها الذي انتظرته شهورًا وسنينًا. فيصف الراوي الموقف على لسان أخته ورد الشام التي كانت تشارك صفية حياتها وحجرتها: "تقول ورد الشام: إن صفية تضرج وجهها لما حمل أبي إليها الخبر وسألته بصوت خافت: "حربي قال ذلك؟" فرد أبي مستسلما وهو يزفر: "نعم يا بنتي حربي قال ذلك" تقول أختي: إن صفية رفعت بعد ذلك رأسها وكانت عيناها نصف وجهها، وكان فيهما البريق الغريب وقالت لأبي بهدوء: "أنا موافقة يا والدي..سأتزوج القنصل وسأعطيه ولدا". قال أبي في دهشة: "ولكن يا بنتي". فقالت خالتي صفية وهي تخفي وجهها بطرحتها: "الأمر أمرك يا والدي.. المشورة مشورتك والأمر أمرك ولكن أنا موافقة على البك القنصل.." (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٦٠).

تتزوج صفية من البك وتترك البلد وتعيش في القصر –السراي– الذي يملكه في مدينة الأقصر وتنقلب حياتها رأسًا على عقب، فبعد أن كانت فتاة يتيمة فقيرة أصبحت سيدة القصر واستقرت حياتها خاصة بعد أن أنجبت طفلها حسان. كان من المتوقع أن تسير الأمور على ما يرام، إلا أن إنجاب طفلها "حسان" قد أثار الأزمة، بعد إثارة الشائعات من قبل أهل القرية بأن حربي يريد قتل الطفل حتى يحظى بالأرض وميراث خاله. وهنا يتحول حب صفية لحربي إلى كراهية، وتبدأ مظاهر الكراهية بإعلان صفية شائعة قتل حربي لطفلها إلى زوجها وسرعان ما يؤدي هذا الإعلان إلى تصاعد الأحداث واحتدام الصراع بين حربي وخاله الذي أمر بوضع القيود التي تمنع حربي من دخوله السراي ويُطرد من حديقتها التي طالما كان يدخلها دون قيود وينعم بالوجود فيها.

سرعان ما تتحول حياة صفية إلى سجن داخل "السراي" خوفًا على طفلها الذي طالما حلمت بِه حتى ولو كان من أب غير حربي، ويقول الراوي: "بعدها تغير كل شيء.. أصبحت السراي مثل نقطة البوليس يحيط بها رجال يحملون البنادق، وانتشر هؤلاء الرجال عند البوابة وفي زوايا الحديقة، والمصيبة أنهم لم يكونوا من أهل البلد بل كانوا عربانا غلاظا لا يعرفون قيمة لأحد فتعرض الداخل والخارج للسؤال والبهدلة، ولم تنج حتى النساء، ولم يعتذر البك القنصل الذي تغيرت أحواله كثيرا عما كنا نعرفه من قبل، لم يعتذر عن تصرفات رجاله، والذي حدث أن أبي منع أمي من زيارة صفية تلك الأيام، وخفت رجله هو عن الأقصر والسراي" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٦٧).

ومن هنا نشأت أزمة صفية النفسية وكانت بمثابة الفتيل الذي أشعل نار الانتقام داخلها حتى من أحبته حبًا يفوق الخيال. تحاول صفية تكريس مظاهر الكراهية منذُ تعمقت الشروخ وأبعدت المسافات بينها وبين حربي من ناحية وبينها وبين أقاربها ومن حولها من ناحية أخرى، وبالرغم من اعتراف الكاتب بأن الرواية نسيج من الخيال إلا أنها تعد فضاءً رحبًا تمكّن من خلاله تسليط الضوء على عدد من التوترات العميقة التي قد تحدث في الواقع ولا يُشير إليها التاريخ. فالرواية دائمًا تجمع بين وهم الموضوعية والمطابقة عليها، كما أنها أكثر تحررًا في التعبير عن الكره الحقيقي في الواقع الفعلي. وبهذا المعنى تُعمق الرواية المعرفة الواضحة بالمونولوج الداخلي للشخصية، والدوافع التي دفعت بها لارتكاب كل هذه الأخطاء؛ ومن هنا بدأت الأزمة تتفاقم والأحوال تتغير وتحرض صفية زوجها على الانتقام من حبيبها، ويشتد التوتر فيحاول البك الانتقام من حبيب عمره –ابن أخته– الذي صار عدوه اللدود، ولم يتوقف انتقامه عند حد التعذيب المحتمل؛ بل إنه استعان بأربعة من العربان لتعذيب حربي تعزيبًا مميتًا وربطه في نخلة مقيد الصدر والرجلين وأمرهم البك بترك مسافة بينه وبين النخلة حتى يتم جلده، في البداية يستسلم حربي لما يفعلوه به احترامًا لخاله، بضرب البك حربي ضربًا مؤلمًا، ويحاول حربي الدفاع عن نفسه في الوقت الذي كاد أن يموت فيه وينحني بسرعة البرق فيخلص قدميه من رباطهما ويخطف البندقية من أحد العربان وتخرج منها رصاصة بالخطأ ويقتل البك دون قصد من حربي. وهنا تشعر صفية بالحسرة والألم ولا تصدق قتل زوجها وتبدأ بالانتقام بكل من حولها، ويظهر هذا حينما تُعنف الخدم وتقول لهم: "إن هذه الفوضي لا تعجب البك، أو ماذا يقول البك لو رأى ذلك؟ أو إن البك يُفضل أن تزرع الأرض الحوض الشرقي قصبا، وهكذا.. وكانت تقول هذه الأشياء بهدوء وثقة حتى أن الغريب كان يعتقد أنها تتكلم عن شخص موجود في الغرفة الأخرى، وفي خلال شهور قليلة لم يعد هناك ما يشبه خالتي صفية التي عرفتها غير عينيها الملونتين، وحتى هاتان العينان اكتسبتا وسط وجهها المسمر رهبة مخفية بالنظرة الصارمة التي تطل منهما. رأيت أطفالا يبكون بمجرد أن تنظر إليهم ويتشبثون بذعر بجلابيب أمهاتهم. وازداد خوف الأطفال منها بسبب الأساطير التي بدأت تحيط بها، فقد كانت في بعض الأحيان تقول أشياء لا ينتظرها أحد" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٧٩).

لم تعد صفية تعي الماضي من الحاضر وترفض قبول فكرة قتل زوجها فتحولت من امرأة جميلة إلى امرأة مُخيفة يرهبها كل الناس فقدت رونقها بعد أن كان يشتهيها كل الرجال. فيصف

الراوي الموقف بقوله: "لا أعرف تفسيرًا لما حدث، ولكن خطوطا كالتجاعيد بدأت تظهر في وجهها وفي رقبتها، ولم تعد تكتفي بالجلباب والطرحة حين تكون في البيت بل كانت تربط أيضًا منديلا عريضا أسود حول رقبتها، وكان جسدها الذي امتلأ قليلا بعد مولد حسان قد أصبح أشد نحولا مما كانت قبل أن تترك بيتنا، وبدأت بشرتها الناعمة تبدو خشنة وتزداد سمرة يوما بعد يوم، وهل يجوز أن أنقل ما سمعته من أمي وهي تقول لأخواتي من أنها منذ نزلت البلد لم تعد تكثر من الاستحمام كما كانت تفعل في السراي أيام كانت تستحم في اليوم الواحد مرتين؟ لا أعرف إن كان ذلك بسبب الحزن أم بسبب اليأس أم بسبب الكسل" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٧٨).

بالإضافة إلى ذلك كانت صفية تتصرف تصرفات غير مقبولة بالنسبة لامرأة في زمانها ومكانها، فالمرأة في الصعيد لها كينونتها الخاصة التي يجب أن لا تخرج عنها؛ لكن صفية كسرت كل القواعد والأعراف، فيقول عنها الراوي: "كانت تستقبل الرجال في البيت، وتزرع الأرض بنفسها، بمعنى أنها كانت هي التي تؤجر الفلاحين وتقبض منهم، بل وتحدد لهم ما يزرعون في كل حقل، وهذا حق لم يكتسبه حتى عجائز المالكات عندنا فقد كانت العادة هي أن تُوكل المرأة للتصرف في ميراثها خالا أو عما أو أخا، وكانت العادة أيضًا أن يأخذ الوكيل لنفسه كل شيء فلا يعطي موكلته إلا ما يكفي بالكاد لطعامها وملبسها، ولم يكن هذا حال خالتي صفية التي كانت تزرع وتؤجر بنفسها، وتحاسب عمال الدكاكين في الأقصر ووكلاء العمارات في قنا وفي القاهرة. الوحيد الذي وثقت فيه ووكلته كان تاجرا من الأقصر من أصدقاء البك القدامي، وذلك فقط لكي يشرف على تسيير المراكب إلى السودان ونقل البضائع، ولو استطاعت هي لفعلت ذلك بنفسها" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٨٠– ٨١)

أثر قتل "البك" على حياة صفية وتغيرت تصرفاتها، حيث رفضت الناس والمجتمع والبيئة المحيطة بها، كانت تتصرف كما لو كانت تعيش في الحياة وحدها دون قيود، لا تهتم بما يُقال عنها ولا تُفكر في تصرفاتها، كانت تُفضل شرب "الجوزة" في مآتم العزاء، كما يفعل الرجال، نسيت القيم التي تعلمتها في بيت الشيخ إبراهيم، أطلقت على حمارها اسم "حربي" مما تسبب في تعنيف الشيخ إبراهيم لها: "ابن آدم يا صفية. ابن آدم ربنا كرمه وحرام أن تسمي حمارا باسم رجل.. حرام.. هل فهمت؟" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠: ٨٤).

زادت تراكمات الألم النفسي التي عانت منه صفية وانتزعت منها كل معالم الإنسانية، وتحول الحب إلى شعور بالكراهية وصل الكره إلى حد السعي إلى قتل حربي ثأرًا لزوجها، فقد عبرت عن

ذلك قائلة وهي تصرخ: "وثأري يا حاج؟ وناري يا حاج؟" فرد أبي: أنا لا أتكلم عن ثأرك يا صفية، أنا أقول.. لم تكن صفية تسمع ما يقول، كانت تدور حول نفسها في فناء دارها الواسع في الشمس المحرقة، تلطم خديها وتجذب شعرها وإلى جوارها واحدة من الخدم تحمل حسان الصغير الذي بدأ يبكي حين رأى أمه تصرخ لكنها لم تبال به، كانت تولول وكأنها تغني وهي ترقص رقصتها الجنونية: "حربي حماري.. حربي حماري.. والحاج يريد أن يأخذ مني ثأري.. يرضيك يا بك؟ يرضيك يا بك؟" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٨٤).

أحيانًا يُشكل خطاب الكراهية نوعًا من أفعال الكلام، حيث يُسيء المُتحدث أو يلعن أو يُعبر عن كراهيته تجاه فرد أو جماعة؛ فمن المؤكد أن المُتحدث لا يُعبر في خطاب الكراهية عن أفكار عدائية فحسب؛ بل إنه يقوم بعمل ما مثل: التهديد أو التحريض على إنجاز فعل معين (سعد عبد السلام، ٢٠٢١م: ٥٠)، ففي الرواية جهرت صفية بالعداء والبغض والكراهية منذُ اللحظة الأولى وتحولت ملامحها وحياتها رأسًا على عقب، حينما أرادت الانتقام من حربي بأية وسيلة، وبعدها أصيبت صفية بصدمة نفسية وكرهت كل ما يُحيط بها، ورفضت كل من حولها حتى الشيخ إبراهيم الذي قام بتربيتها كما رفضها الجميع أيضًا. لم تعش حياتها الطبيعية ولكنها أصبحت في مأساة لا تفكر في شيء سوى الانتقام من حربي واعتبرت أنه السبب في يُتم ابنها، وخسارة شبابها وتحطيم آمالها وحرمانها من زوجها. أزمة صفية أزمة مُكتملة الأبعاد، النفسي والعاطفي والاجتماعي، سواء قبل الزواج أو بعد الزواج.

توترت علاقة صفية بكل من حولها حاولت مرارًا وتكرارًا أن تأخذ بالثأر من حربي، حينما علمت أن حربي مصاب بالمرض كانت تدعو له بالصحة وتسأل عنه وتنصح الشيخ إبراهيم أن يجلب له الأطباء وكانت تصرخ وتقول: "يا مصيبتي لو مات حربي، يا ويلي وياويلك يا حسان لو مات حربي ماذا أقول للبك؟ قولوا لي يا ناس ماذا أقول للبك؟ تركناه يموت دون أن نأخذ ثأرك ونطفئ نارك؟" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٢٣).

وهكذا، صورت الرواية جدلية الحب والكراهية على مدار أحداث الرواية، ويموت حربي نتيجة لضعف ووهن الجسد، وتعيش صفية بقية حياتها في مأساة وتدخل في غيبوبة وتفقد الوعي. وحينما تعود لوعيها وقتًا قصيرًا تتذكر ماضيها ومدى حبها لحربي، وأدركت أنه مهما عظم الكره والبغض فيظل الحب هو الأعظم فتقول للشيخ إبراهيم الذي اعتبرته والدها في لحظاتها الأخيرة: "نعم يا والدي. أعذرني لا استطيع أن أقوم... ولكن إن كان حربي يطلب يدي فقل للبك إني

موافقة...أنت وكيلي يا والدي... وأنا موافقة على أي مهر يدفعه حربي لا تشغل بالك بالمهر...ثم أغلقت عينيها مرة أخرى ودخلت بعدها في غيبوبتها الأخيرة" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٣٤). وهنا وكأن موت حربي بمثابة منعطف آخر في حياة صفية، حيث أدخلها في حالة نفسية وصحية أكثر تدهورًا من السابق.

لم تكن الأزمة الفردية تخص صفية فحسب، وإنما اتسع الأمر لتشمل حربي أيضًا فهو ضحية الأحداث والشائعات التي انتشرت ضده وتضخم الأمر إلى أن وصل لقتل خاله دفاعًا عن النفس. تعرض حربي بعدها للمحاكمة والدخول للسجن وعاش حربي ضحية ظروف خاطئة. ومن هنا وضح الكاتب حالة الإحباط التي تعرض لها حربي، فيتذكر حياته القديمة وما اعتلها من تغيرات منذُ ميلاده حتى إصابته بالمرض. فذكريات الماضي والألم الحاضر الذي أضعف حياته وأنهك قوته، وجعلت منه شابًا هزيلا لا يستطيع المواجهة، فيهرب من واقعه ليحتمي بالدير، ويظل هناك حتى يمرض وتنتهي حياته داخل الدير الذي كان بمثابة الأمن والطمأنينة عن العالم الذي عاش خارجة. وبعد موت حربي، حزن بشاي المقدس حزنًا شديدًا لدرجة أنه أصيب بالجنون الذي فارق حياته داخل الدير، فيعبر الراوي عن الموقف بقوله: "وذات صباح جاء الراهب جرجس يبحث عن أبي، قال: إن رئيس الدير يطلبه في خدمة، قال إنهم يحتاجون إلى عربة لنقل المقدس بشاي إلى المستشفى ولكن لا توجد أية سيارة أجرة ترضى الذهاب إلى الدير في الطريق الرملي، فهل يمكن أن يساعده أبي؟ سأل أبي في فزع: ماذا جرى لبشاي؟ لماذا تنقلونه إلى المستشفى؟ (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٣٥). خُيم الحزن على القرية بأكملها لما حدث للمقدس بشاي وانزعج الجميع مما أصابه فيصف الراوي الموقف بقوله: "حل الصمت بصف الرجال الواقفين حين جاءتنا العربة، واستطعنا أن نرى المقدس بشاي بوضوح ولكنه لم يكن هو بشاي. كانوا لسبب ما قد خلعوا عنه ثوبه الأسود وألبسوه جلبابا عاديا وحلقوا له شعره ورأسه ولحيته الأسمر ضئيلاً للغاية وغريبًا تحف بِه مكان اللحية شديد البياض. وكان الراهب جرجس عن يمينه وراهب آخر لا أعرفه عن يساره يمسكان بذراعيه، وكان الصمت ثقيلا حين مرت العربة المتراخية أمامنا، ولكن فجأة تحرك واحد من المزارعين الواقفين وكان يمسك عصًا أو فأسًا، لا أذكر، فرفعها ولوح بها وقال بصوت متهدج: "مع السلامة يا بشاي..مع السلامة يا مجدس" ونظر بشاي نحونا بعينيه الواسعتين وتعَرف عليَ واستطاع أن ينتزع ذراعه اليمنى من قبضة الراهب جرجس ولوح لي وهو يبتسم وقال لي سلم على... لم أستطع أن أميز اسم من يريد أن يسلم عليه ولكني خمنته فجريت

وراء العربة وأنا أهتف أيضًا: مع السلامة يا مجدس..مع السلامة..." (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٣٧).

لم يختلف الصراع كثيرًا في رواية "واحة الغروب"، فقد عبر الكاتب عن عدد من المشاعر الانفعالية السلبية المتمثلة في: الغضب، والحقد، والانغلاق على الذات ورفض الآخر المختلف ثقافيًا.كما عبرت الرواية عن الأزمات النفسية والعاطفية والاجتماعية التي عانت منها شخوص الرواية مثل: محمود عبد الظاهر مأمور الواحة، قصة محمود عزمي عبد الظاهر قصة حقيقية استمدها الكاتب من واقع حادثة تاريخية تعود للقرن التاسع عشر استلهم الكاتب أحداث الرواية وشخوصها من كتاب "واحة سيوة" لعالم الآثار أحمد فخري ومزج في الرواية الواقع بالخيال، وقد عبر عن ذلك بهاء طاهر في مقدمة الرواية بقوله: "إن كتاب واحة سيوة لعالم الآثار الراحل أحمد فخري هو مدخلي إلى هذا العمل. فقد لفتت انتباهي إشارته إلى علاقة المأمور محمود عزمي بما حدث لمعبد أم عبيدة في عام ١٨٩٧ فحاولت في هذه الرواية أن أفهم الشخصية وأفهم الحدث، أفدت كثيرًا من هذا الكتاب، الذي يجمع بين دقة العالم الموسوعي وأسلوب الفنان المطبوع، في استلهام أجواء سيوة في القرن التاسع عشر، لا سيما فيما يتعلق بعادتي الحروب الداخلية والتعامل مع الأرامل" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٣٢٣).

تُعد شخصية محمود عبد الظاهر شخصية واقعية تعبر عن حياة الضابط محمود عزمي الذي أشار إليه مؤلف كتاب واحة سيوة، حيث وضح لنا كيف عاني محمود وزوجته الإنجليزية كثيرًا من بداية الأحداث وحتى نهايتها، ولم يتقبل محمود الشاب الذي عاش في القاهرة ونشأ على ثقافة أهل المدينة التعامل مع أهل الواحة، لم يفهم ثقافة البدو الهامشية وعاداتهم التي تختلف من منطقة لأخرى خاصة وأن أهل سيوة الأصليين لم يجيدون التحدث باللغة العربية مع أنهم يفهمونها فهمًا طيبًا ولكنهم يتحدثون بها كلغة ثانية "ليس من المستبعد أن يقابل الإنسان رجالا أو نساء طاعنين في السن يجدون صعوبة كبيرة في التعبير عما يريدون قوله باللغة العربية، فلا يجيد اللغة العربية إلا الشباب والرجال الذين هم في مقتبل العمر والذين تعلموا في مدارس أو عاشوا بعض الفترات خارج واحتهم في الإسكندرية أو على الشاطئ أو غير ذلك من الأماكن فإنهم يتكلمون اللغة العربية بطلاقة تامة ويعرفونها معرفة جيدة إلى جانب لغتهم السيوية" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠: ٣٠)،كما وجد أيضًا أن الواحة منقسمة إلى عشيرتين متخاصمتين -أجواد الشرقيين والغربيين- المعارك بينهما لا تنقطع. انتقل محمود للواحة نتيجة لترقيته لدرجة مأمور

وهي ترقية تبدو مكافأة ظاهريًا، ولكنها في حقيقة الأمر عقاب من قوات الاحتلال البريطاني لمحمود؛ لتعاطفه مع الثوار، فظهر الغضب الرسمي عليه لكونه مُذنب من وجهة نظرهم. وبناءً عليه يتهم مستر هارفي المستشار الإنجليزي ورئيسه في العمل تعاطفه مع العصاة فينفعل محمود عليه بقوله: "لم أكن متعاطفًا مع أي عُصاة. كنت أؤدي واجبي لا غير ودفعت الثمن ظلمًا مرتين" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٤).

ومن هنا أدرك محمود أن حياته الجديدة ستفقده المزيد من الحرية، فيقول مستر هارفي عن عشائر الواحة: "المعارك جزء من حياتهم وهم أحرار فيما يفعلونه بأنفسهم، إلا بالطبع إن أمكن عن طريق تحالفات معينة مع عشيرة أو أخرى تحويل ذلك إلى وسيلة لضمان السيطرة. هذه المسألة مجربة ومضمونة بشرط ألا يستمر التحالف مع طرف واحد لمدة طويلة. يجب أن يكون التحالف مع هؤلاء مرة ومع خصومهم المرة الثانية" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٣).

اقترنت حياة محمود بالخوف منذُ أن تم نقله إلى الواحة خاصة وأنه قد عرف تاريخها وطبيعة الصراعات التي تنشب بين أهلها. كما قد علم بالكيفية التي انتهت بها حياة المأمورين السابقين اللذين انتهت حياتهما بالقتل. كل هذا يتناقض مع شخصية محمود التي تجمع بين اللهو ومصاحبة النساء، والالتحاق بحلقات الذكر ودروس الشيخ الأفغاني في بعض الأحيان. لم يستطع محمود أن يفهم الدور الذي سيقوم به، بل شعر بالاغتراب في مجتمع يختلف عن حياته التي اعتاد عليها؛ لهذا بدأ حياته الجديدة في الواحة بالسخط والظلم، والعنف والعدوان وهي حياة تختلف عن حياته السابقة ويتضح ذلك بقوله: "أعرف النساء وأعاشر الجواري وأقضي الليالي مع الصحاب ننتقل بين المقاهي والحانات. وبيتنا الكبير في عابدين لا تنقطع فيه الولائم ولا يكاد يخلو ليلة من الضيوف وحفلات السمر وأشهر المطربين والمطربات...فأدمنت إلى جانب الخمر والنساء مجالس الشيخ الأفغاني وقراءة الصحف" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٦–١٧).

شعر محمود بالاضطهاد والظلم منذُ أن كان شابًا صغيرًا نما إليه الشعور بالكراهية تجاه قوات الاحتلال البريطاني، فكان يُتابع الصحف التي تشتعل بالغضب لسيطرة الأوروبيين على كل قطاعات الحكومة المصرية، وسعى للانضمام إلى حزب وطني سري يقرأ منشوراته التي تحمل عنوان "مصر للمصريين"، وهو ما ساعد على انجرافه وراء العديد من الممارسات السياسية. وفي تلك الفترة من حياته تعرض أبوه للإفلاس حينما أغراه تاجر يوناني بمكاسب كبيرة من استيراد زيت الزيتون الذي أوقعته في عدد من الديون حتى فقد دكانًا كان يملكه بحي الموسكي. وكانت

هذه أول خيانة غيرت حياة محمود لكنه لم يشعر بتأنيب ضمير فيقول: "كما لو كان طبيعيًا جدًا أن أسكر وأن أتردد على محافل الماسوني وأضاجع النساء وأذهب إلى حلقات الأفغاني وأدور مع أبي والمريدين في حلقة الذكر" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٧).

حاول الأب أن يعالج الموقف الذي تعرض له ابنه واجتهد أن يلحق محمود بالشرطة، وقد استطاع ذلك، إلا أنه قد وافته المنية وما زال محمود غير قادر على تحمل مسئولية والدته وأخيه؛ ولهذا عاش محمود حياة مضطربة لا تعرف الهدوء والاستقرار على المستوبين الشخصي والمجتمعي. على المستوى الشخصي حينما هجرته "نعمة" الخادمة الصغيرة التي اشتراها أبيه من "سوق الجلابين" طفلة صغيرة لتساعد أمه في عمل البيت ثم وهبها له عندما كبرت، أحبها حبًّا لم يعهد له مثيلاً وذات ليلة سألت نعمة محمود عن مدى حبه لها وعبرت عن ذلك بقولها: "سيدي محمود هل تحبني؟ زجرها ما هذا الكلام الفارغ يا بنت؟ لو عدتِ إلى هذا الكلام فسأرميكِ في الشارع! فضحكت وهي تقول: معك حق يا سيدي كلام فارغ. وأخفت رأسها في صدري وهي تكرر وسط ضحكاتها: أما كلام فارغ! (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٩٤). بعدها اختفت نعمة من حياة محمود ظل يبحث عنها في أماكن كثيرة لكنه لم يجدها فيصف الموقف قائلا: "كانت صاحبتي وكانت تردني بحكاياتها وتستردني بالعشق رجلا. أحببتها كما لم أحب سواها لكني لم أدرك ذلك إلا بعد فوات الأوان، إن كان الحب هو تلك الحمى وذلك الجنون اللذين أصاباني بعد أن هربت نعمة من البيت. قضيت أيامًا وأسابيع أبحث عنها في المستشفيات وأقسام الشرطة والسجون وحتى في بيوت البغاء. ثم شكوت همي لزميلي وصديقي طلعت فقال ببساطة: اشترِ جارية أخرى!" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٩٣). شعر محمود بعد هروب نعمة من بيته بالخيانة وكأنها الخيانة الأخرى المقابلة لثورة عرابي والثوار، كما عانى من ظلم القوات حينما تم نفيه إلى واحة سيوة.

تعرضت كاترين، زوجة محمود، أيضًا لأزمة منذُ كانت فتاة صغيرة عاشت تجربة تعيسة مع مايكل زوجها الأول عاهدت نفسها بعد وفاته بعدم الزواج نهائيًا، لكن سرعان ما تغير الوضع حينما قابلت محمود في رحلتها لأسوان حيث أعجبت بشخصية الرجل المصري الأسمر، كما أعجب محمود أيضًا بها وبشخصيتها وخاصة بعد أن علم أنها إيرلندية تكره الإنجليز كما يكرههم. واجهت كاترين الرفض من قبل المجتمع لزواجها من محمود ذلك الشاب المسلم، فتقول يوم عقد قراني عليه: "بدأ الشيخ الذي عقد قراننا في القاهرة تعيسًا وهو يرى رجلا مسلمًا وضابطًا

محترمًا يتزوج امرأة أجنبية من غير دينه. كان يوجه أسئلة فيطل ارتياع متزايد من عينيه ويكرر الجواب كأنه لا يصدق نفسه. ليست بكرًا؟ أرملة؟ أكبر منه بسنتين؟ لا ينوب عنها في عقد الزواج أب ولا أخ؟ تزوج نفسها بنفسها؟...عندما ذهبت إلى القنصلية لأسجل زواجي: تتزوجين مصريًا؟ وتتزوجينه أيضًا حسب شريعتهم؟ وقبل الرجوع إلينا هنا؟ هل تعرفين حقوقك التي ضاعت؟ رددت بطريقتهم. قلت: شريعتهم تعجبني أكثر من شريعة الإنجليز في أيرلندا. زواجي تم على الأقل باختياري ولم يفرضه أحد علي بالقوة" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٢١).

على الرغم من ذلك، تمتعت كاترين بعد زواجها من محمود بحياة اجتماعية سعيدة. على الرغم من تحفظها على بعض المسالب التي حاولت أن تقوم بتغييرها في حياتها معه، فقد أفهمته أنها لا تحب العنف والاقتحام الذي كان يتصور أنه دليل على الرجولة، وأنها تحب اللمسات الرقيقة والكلمات الرقيقة الناعمة. ومع مرور الأيام والشهور أدركت كاترين أنها ليست المرأة الوحيدة أو الأولى في حياة محمود، فتقول: "أشم وهو معي في الفراش رائحة امرأة أخرى وعرقها، أحس بطيف امرأة بيني وبينه، ثم أكذب نفسي حين أجد عطاءه لا يقل بل يزيد. لكني أعرف أن جسدي لا يكذبني هناك من تشاركني فيه. اجتاحتني غيرة لا تحتمل فقضيت نهارًا كاملا أستجمع نفسي وأرتب أفكاري لأواجهه. وحين عاد من عمله ضاعت كل الأفكار التي رتبتها فسألته فور دخوله ونحن نقف في صالة البيت: محمود هل تخونني؟ فرد بسؤال: هل تقصدين هل أعرف نساء غيرك؟ أومأت برأسي فقال بهدوء: نعم. انفجرت وجسدي كله ينتفض: هكذا إذن! فماذا لو عرفت أنا رجالا غيرك؟ رد ببساطة: أقتلك على الفور" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٢٢).

وعلى هذا، عاشت كاترين حالة من الاكتئاب والحزن بعد أن عرفت خيانة زوجها لها زاد غضبها واشمئزازها منه، تعرضت للشعور بالضعف والانكسار مثلها مثل أي امرأة في مجتمع شرقي يمنح الرجل القوة ويكرسها ويسلب المرأة كافة حقوقها، وإنما إذا فعلت مثلما فعل تُصبح خارجة عن المألوف. قاطعت كاترين محمود أربعة أيام متتالية، شعرت وقتها أن الانفصال ليس هو الحل الأمثل خاصة وأنها تعلم جيدًا احتياج كل منهما للآخر. وهنا تذكرت الخيانة التي اتُهمت بها بعد أن تزوجت من مايكل الرجل الذي كان يريد الزواج من أختها "فيونا"، ولكنها اكتشفت خيانته لها بحبة لكاترين فرفضت الزواج منه واتهمته بالخيانة. وسمحت لكاترين بحرية الاختيار وخاصة وأنها لا ترغب في الزواج منه حتى وإن رفضته كاترين، فتقول كاترين:"لماذا أهملت إصرار أمي على أنه مهما يكن ما تقوله أختي فإن هذا الزواج خيانة لها؟ كان يجب عليَ

أن أفهم مثلها أنه شخص لا يؤتمن، ولكن ما كان لي أن أعرف وقتها صفاته الأخرى. بعد الزواج فقط جربت غيرته المجنونة من الرجال الآخرين. فرض علينا عزلة لا نزور ولا نزار ولا نكاد نخرج سويًا من البيت. لكن غيرته كانت أيضًا من الكتب... بعد الزواج صار يكره أن يراني أمسك كتابًا. يسخر من قراءاتي وترجماتي. ماذا سأفعل بها وأنا ليس لي عمل؟ أليس الأفضل أن أهتم بأشغال البيت؟ يرميني طول الوقت بالجهل" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٢٩).

وهنا وجدت كاترين جدلية الحب والكراهية في آن واحد وكانت دائمًا ما تتساءل لماذا فضلني مايكل عن أختي فيونا وكانت تسأله :"لماذا تزوجتني؟ فرد عليَ بطريقته في السخرية: لكي أعذب نفسي. لعله كان صادقًا. لا يمكن لرجل أن يتزوج امرأة لا يحبها إلا إن كان يهوى تعذيب نفسه. ولكن لماذا؟ ظللت حتى آخر عمره أرى في عينيه نظرة حزينة وذليلة لفيونا. فلماذا لم يتزوجها هي واختارني أنا؟ عرفت في حياتي رجالا يتجنبون الارتباط بالجميلات خوفًا من نظرات الآخرين التي تتساءل: هل يستحق هذا الرجل تلك المرأة؟ ربما كان أيضًا جبانًا إلى هذا الحد، أو ربما كان متأكدًا أنه لا يستحقها فاختار الأخت العادية التي لن يحسده عليها أحد" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٢٩).

ولهذا عاشت كاترين تعيسة خلال السنوات الأربع التي انتهت بموته. وعلى الرغم من أنها قد استطاعت أن تتخلص من كرهها له وحاولت أن تنسى حياتها القديمة وتبدأ حياة جديدة خاصة بعد أن قابلت محمود إلا أن حياتها الجديدة لم تخلو من الشعور بالظلم والقهر والخيانة التي عاشتها في السابق، حاولت مرة أخرى أن تنسى ما حدث وما أفصح عنه محمود لها. قررت أن تسافر معه وإن كان في ذلك خطورة عليها؛ ولذلك قررت أن تشغل وقتها بالقراءة عن الواحة وأخبارها وأحوال سكانها مما كتبه المؤرخون والرحالة والمستشرقون عن واحة سيوة. وعندما ذهبت إلى الواحة سعت إلى التقرب من أهلها، ولكنها قوبلت بالرفض. فتقول:"رأيت النسوة يغلقن الأبواب كلما اقتربت من أحد البيوت. لم تنفع ابتسامات التودد، ولا عبارة "إصباح الخير" التي تعلمت نطقها بلهجتهم من الأطفال الذين يلعبون أمام البيت. كانت ردودهن دمدمات غاضبة وهن يصفقن الأبواب بعنف" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٠٣). وهكذا، أدركت كاترين عدم استعداد أهل الواحة لقبول المختلفين حتى لو كانوا من النساء.

وتُعد شخصية "مليكة" واحدة من شخصيات الرواية المحورية، وعلى الرغم من أنها من بنات الواحة، إلا أنها تعرضت أيضًا لصور من الظلم والكراهية لاختلافها عن مثيلاتها من بنات

الواحة. ففي الوقت التي حرمت فيه بنات الواحة من القدرة على اتخاذ قرارات تخص حياتهن، سعت مليكة لأن تكون مختلفة بدايةً عندما أحبت شابًا من القبيلة المعادية لقبيلتها، وثانيًا عندما أُرغمت على الزواج من رجل في عمر جدها وقتها شعرت بعدم القدرة على العيش معه واشتكت لأمها "أن الرجل الذي عاشت معه سنتين لم يقربها. ويضربها دون سبب. فضربتها أمها أيضًا. وحرمت عليها أن تكرر هذا الكلام ويكفي أن يحميها ظل رجل. لكن هي كرهت ظل معبد. وتكره من أجله كل الرجال وكل النساء في هذه البلد . تكرههم جميعًا فلماذا لا يتركونها بعد أن رحمها الله بموت معبد؟" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٢٠٥).

وزاد من هذا القهر، ما تعرضت له عندما مات زوجها المسن وتحولت، وفقًا للمعتقدات السيوية، إلى "غولة"، تلك الممارسة المعروفة لدى أهل سيوة عندما يموت الزوج. وقد عبرت كاترين عن ذلك في قولها:"لا يفرضون هذه العقوبة على الرجل الأرمل، هو حر في أن يتزوج حتى قبل أن يمر شهر على وفاة زوجته. أما الأرملة فيجب أن تنتظر طويلا حتى تتطهر من الروح التي تلبستها وجلبت على زوجها الراحل الموت. تظل سجينة أربعة أشهر وعشرة أيام. لا تغير ثوب الحداد مهما بلغت قذارته. لا تستحم ولا تتزين. لا تلبس أيًا من حليها ولا تمشط شعرها. ولكن قبل كل شيء. وأهم من أي شيء أنها يجب ألا تخرج من بيتها حتى لا يقع عليها بصر أحد حتى لا يصيبه الهلاك لأن ملاك الموت يتقمصها" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٧٨).

لم يكن القهر الذي تعرضت له مليكة فقط بسبب موت زوجها، بل أن حياتها قبل مماته كانت مثالا صارخًا لحياة يسودها الرفض من رجل في عمر جدها، لم يكن لديها القدرة على أن تشكو أو تُعبر عن أية مشاعر تشعر بها. بعد موت زوجها حاولت مليكة أن تكسر قواعد وعادات عشيرتها، وخرجت عن المألوف وتنكرت في زي صبي، وحاولت أن تُقابل كاترين قبل أن تنتهي فترة حدادها لتخرجها من الحياة التي رفضتها لكن كاترين لم تفهم ما تريد توصيله لها. ولم تستطع مساعدتها. فخرجت هائمة على وجهها تتعرض لوصمها بالشؤم لكل من يقابلها. وانتشرت الشائعات بأن اللعنة التي تلبس مليكة حلت على كل الأماكن التي ذهبت إليها مليكة أو مرت بها؛ ولهذا تعرضت مليكة للضرب من أمها ومن معها من سيدات الواحة وظللن يضربونها إلى أن فقدت حياتها.

قد يكون قتل مليكة يمُثل انتصارًا على العادات والتقاليد البالية التي تشبث بها أهل الواحة، كما يُعد خروجًا عما هو مألوف، فبخروجها كسرت تصديق الخرافة، لكنها من جانب آخر زادت من

حدة الخلاف وتوترت العلاقات ونمت الصراعات بين العشائر وبعضها من جانب، وبين مأمور الواحة وزوجته من جانب آخر. ومن هنا يؤكد الكاتب أنه كلما زادت المشكلات الفردية كلما تقلص التفاعل الاجتماعي مما يؤدي إلى ضعف الروابط الاجتماعية.

٢-٣ الصراع الاجتماعي:

مثلما ركز الكاتب في الروايتين على الأزمات النفسية التي تعرضت لها شخوص رواياته، ألقى الضوء أيضًا على الصراعات الاجتماعية التي دارت على المستوى الأكبر أي مستوى البنية الاجتماعية برمتها. ففي رواية "خالتي صفية والدير" كانت العلاقات بين أهل القرية من ناحية، وبين الدير ومن يعيشون فيه من ناحية أخرى علاقات سوية تتميز بالحميمية على المستويين. فقد عبر الرواي عن روح التسامح التي كانت بين أبناء القرية ورهبان الدير بقوله: "أما في يوم العيد فكان مسموحا لي بكل شيء بعد أن أسلَم علبة الدير وبعد أن أتلقى تهاني الرهبان لتوصيلها إلى أبي مع شكرهم على تعبه الذي لم يكن له داع ولكن ربنا يجعله عامر دائمًا..إلخ وكان مسموحا لي أن أتجول علي حريتي في الدير الذي يشبه قريتنا إلى حد ما بطرقاته المتعرجة وبيوته أو قلاياته المبنية بالطين والتي تختلف فقط في أن سقوفها على شكل قباب، وكان مسموحا لي أن أذهب مع المقدس بشاي إلى مزرعة الدير التي تمتد من القلايات وحتى الجبل" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٤٤). يصف الراوي الدير والحياة بداخلة وعلاقاته بالرهبان ويؤكد على الانسجام الديني بين المسلم والمسيحي في إحدى القرى المصرية، كما يؤكد كيف كان الدير فضاءً للراحة والسكينة بالنسبة له يصف القاعة التي بها صورة العذراء وهي تحتضن المسيح الرضيع وتحنو عليه، يصف الصورة ويؤكد على شعوره بالراحة حينما ينظر إليها ويتأملها فيقول له المقدس بشاي: "حتى أنت التلميذ الصغير، ولا أنت من ديننا ولا نحن من دينك تعجبك الصورة وتحب أن تتفرج عليها" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٤٩).

إلا أنه سرعان ما تحولت هذه الحياة الهادئة إلى حياة يسودها الحقد والكراهية حتى بين الذين كانت بينهم علاقات مودة. ويوضح الراوي كيف تحولت علاقة الحب بين الخال وابن أخته إلى علاقة وصلت إلى حد الرغبة في القتل والانتقام، ويظهر ذلك في العنف الذي مارسه البك ورجاله على حربي. ويظهر ذلك بقوله: "وقلعوا هذا الكلب".. وظللت أتابع في رعب حربي وهو يقاوم أربعة رجال ينزعون عنه الجلباب والصديري والفانلة حتى لم يبق عليه سوى سروال طويل. كان يضربهم وكانوا يضربونه.. وكان يصرخ وسط الضرب والمقاومة: في عرضك يا خال.. اقتلني

بيدك ولا تترك الغرباء يفعلون ذلك يا والدي.. لا تحملني هذا العار يا جدي.. اقتلني أنت" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٧١). وعلى الرغم من أن العنف الذي مارسه البك داخل الرواية يُشير إلى عنف شخصي بسبب خلاف فردي، إلا أنه بمثابة إسقاط سياسي على العنف الذي يُمارسه السادة على المستضعفين. ويتضح ذلك من محاولة أحد الفلاحين إقناع "البك" أن يعفو عن حربي مقابل أن يُقبل قدميه ويديه بقوله:

"يبوس يدك ورجلك يا بك وتسامحه؟ كلنا نبوس يدك.. فزمجر البك الذي لم يسمعه أحد يرفع صوته من قبل وصرخ بصوت حاد: أمشوا يا كلاب! كلكم لو استطعتم لهجمتم على بيتي مثله، كلكم لو استطعتم لقتلم ابني لكي ترثوني حيا، امشوا يا كلاب، فزع الفلاحون الواقفون هناك وهم يرونه يصرخ ويلوح بعصاه نحوهم وتراجعوا مبتعدين، ولكن فلاحًا عجوزًا لم يبال بأن يقول بصوت مسموع: هكذا كان آل عسران يفعلون بالفلاحين في الزمن القديم، اتركوهم الآن ينهش كل واحد منهم لحم الآخر" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٧١–٧٢).

وهكذا، جسد الصراع بين حربي وخاله الإقطاعي معاناة فقراء الريف المصري خلال الحقبة الإقطاعية التي سادت لفترة طويلة في الريف المصري، وما يُمارس عليهم من قهر وظلم وصراع طبقي استمر لفترة طويلة، احتدام الموقف بين البك وحربي جعل البك يضرب حربي حتى انسلخ جلده عن لحمه دون رحمة ولم يشعر تجاهه بالذنب، نشبت الكراهية في قلبه وتمكنت منه حتى فقد كل مشاعر الإنسانية، حاول حربي أن يدافع عن نفسه من البطش والظلم الذي تعرض له من خاله القنصل حتى تدلت أنسجة من الجلد واللحم من جسمه حتى انزعج أحد رجال البك بقوله: "نحن لم نتفق على جنايات..الشرط نور يا بك.. ثم بدأ العربان يجرون نحو العربة.. وتركوا البك يتراجع متعثرا وحربي يدفعه بماسورة البندقية في صدره وهو يواصل صرخته: يكفي..ي..ي..ي..ي قبل أن يطلق رصاصة واحدة في صدر البك الذي ترنح لحظة جاحظ العينين وقال "وي" قبل أن ينكفىء على وجهه وسط الزرع" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٧٤).

تُشير أحداث الرواية إلى قضية تاريخية في السياق المصري، خاصة في صعيد مصر، وهي قضية الثأر تلك الظاهرة الاجتماعية التي تُعد أحد صور تكريس خطاب الكراهية وتآكل رأس المال الاجتماعي. فبعد أن مات القنصل برصاص البندقية على يد حربي، هرب حربي في صحراء الجبل حتى وجده الشيخ إبراهيم متشبثا بالبندقية شبه ميتًا، ونقله بين الحياة والموت إلى مستشفى في محافظة الأقصر.. وبعدها فاق حربي وسلم نفسه للشرطة، وحكم عليه بالسجن لمدة

خمسة عشر عامًا ولكن بعد النقض وشهادة الأطباء ثبت ما حدث له أثناء ربطة في النخلة، الذي كان من الممكن أن يقضي عليه.. ولما أعيدت المحاكمة خفض الحكم إلى عشر سنوات مع الشغل، وحينما سمعت صفية خبر تخفيض الحكم أرادت أن تأثر لزوجها من حبيبها حتى بعد أن أتمَ عقوبته بالسجن. رفضت أن تأخذ عزاء زوجها وظلت لفترة طويلة صامته وقبلت حسان وهي تقول: "مكتوب علينا يا ولدي" وعرجت أولا على بيت العمدة الذي حُملت إليه جثة البك، وحيث جاءت الشرطة وجاءت النيابة، لم تنزل من سيارتها وحين جاء العمدة وانحنى على النافذة وقال لها: البقية في حياتك يا بنتي..قالت خالتي صفية: أنا لم أسمع ما قلته يا عمدة، جئت لأقول لك شيئًا واحدا– ادفن ابن عمك بمعرفتك ولا تقبل فيه عزاء. قل للجميع لا مأتم ولا عزاء.. المأتم سيكون في السراي يوم يثأر حسان لأبيه.. وإياك أن تقول لهم من الذي قتله.. فهمت يا عمدة؟" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٧٧). وهنا يمكن القول بأن فكرة الثأر ما زالت من الأفكار السائدة في صعيد مصر، وظلت أحد أهم العادات والتقاليد التي تنتشر بشكل ملحوظ يهدد سلامة وسكينة المجتمعات ومن أعقد الجرائم التي تؤثر في حياة المجتمع، كما تعد أسوأ العادات والتقاليد الموروثة التي تؤدي إلى سفك دماء الكثيرين من الأبرياء نتيجة قيام العديد من الصراعات والنزاعات القبلية والعائلية خاصة في مجتمع الصعيد الذي يتميز بالعصبية والقبلية وانتشار جرائم القتل للأخذ بالثأر والتي قد تصل في بعض الأحيان إلى إبادة جماعية (أحمد عبد المنعم وآخرون، ٢٠١٧: ٩٦).

وعلى الرغم من الصراع الاجتماعي الذي ساد العلاقات بين أهل القرية، إلا أن ثمةً صراعٍ آخر دار داخل مكان لا طالما كان مكانًا للهدوء والسكينة، ألا وهو "الدير" ففي هذا الدير، عاش حربي فترة من حياته في علاقة طيبة مع رهبان الدير يبادلهم الحب والمودة والتقدير وهم أيضًا يبادلونه نفس الشعور، خاصة المقدس بشاي؛ لذلك عندما خرج حربي من السجن وخوفًا عليه من انتقام صفية، عمل المقدس بشاي بالتعاون مع الشيخ إبراهيم بإخفائه في الدير. حينما علمت صفية بإيواء حربي في الدير، شنت ضده حربًا وضد من يعملون فيه مستخدمة في ذلك أحد المجرمين المسيحيين من المطاريد لكي يقتل حربي داخل الدير المحتمي فيه. مقابل مبلغ من المال وهي تعلم جيدًا أن هذا الفعل سوف يُثير الفتن والعداء بين المسلمين والمسيحيين داخل المنطقة الواحدة.

أوضح الكاتب أن الكراهية هي السبب في ظهور الجرائم المختلفة، وكيف كانت تلك الجرائم أحد أهم أسباب تآكل رأس المال الاجتماعي، وقد يكون الانحراف والخروج عن القانون أيضًا هو سبب من أسباب تشوه العلاقات نتيجة للتعصب والصراع، كما حاول الكاتب أن يرسم صورة لغياب الانسجام في الرواية، بهذا المعنى ترصد الرواية ذروة الكراهية، وتفكر صفية في الانتقام من حربي وتختفي عن الأنظار، فيقول عنها الراوي:"انقطعت كل صلة بين أسرتنا وصفية.. لم أعد أراها ولكني كنت أسمع أخبارها، سمعت أنها منذ وصل حربي بدأت تخرج إلى البيوت، تدور طول النهار من بيت إلى بيت، تقول: هل رأيتم أن البك كان على حق؟ هل رأيتم؟ كان يعرف أن حربي امرأة. ها هو مثل النسوان، ها هو يختبئ من امرأة وطفل ويحتمي بالنصارى، إن كان رجلا فليخرج– مم يخاف؟ ومن يخاف؟ حسان شبر ونصف" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٩٨).

فحينما تسمع صفية عن حنين أحد رجال المطاريد المسيحي الذي رغب في اقتحام الدير، تتعاون معه ليساعدها في قتل حربي داخل الدير وذلك مقابل مبلغ من المال، وهنا تظهر الأيدي الخفية لقتل حربي داخل الدير، ويسمع المقدس بشاي أصوات من الجبل ويكتشف أنه حنين قادم لقتل حربي داخل الدير فيقول له: "ابعد يا حنين ... ابعد يا يهوذا عليك لعنة الرب" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٢٨). استغلت صفية وجود شخص مسيحي من المطاريد يتردد على الدير بين الحين والآخر لزيارة حربي مع أحد رفقاء حربي في السجن "المعلم فارس" اتفقت معه على قتل حربي، وهنا اشترك كل من حنين وصفية في نشر الشر داخل القرية الصغيرة والعمل على تشويه العلاقات بين المسلم والمسيحي، فيقول الراوي: "إن الخالة صفية هي التي سلطت حنين ورجاله على قريتنا بعد أن طرده المعلم فارس، وبدءوا يلاحظون أن معظم من ضربوا أو سرقت محاصيلهم كانوا من أحباء حربي وزواره" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٢٩–١٣٠).

خالط التحول شخصية صفية نتيجة لغياب التسامح والوعي، والتصلب بالرأي، وفكرة الثأر التي أصابتها بالحقد والكراهية للآخرين، وربما يكون ذلك إشارة إلى ما حدث في مصر من فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين. كما قد يكون إسقاطًا سياسيًا لما حدث في نكسة ٦٧. ففي الفصل الرابع أشار إلى النكسة، فالنكسة لم تكن هم شخص واحد وإنما كانت الهم العربي، وفي هذه اللحظة تلتحم القرية الصعيدية بمحافظة الأقصر بقصة الوطن الكبير وهنا نجد أن مركز الدلالة ينتقل من الخاص إلى العام (صلاح فضل، ١٩٩٢م: ٧٧).

هذا، وقد أشارت الرواية إلى زيادة حدة الصراع الاجتماعي داخل القرية نتيجة عوامل سياسية خارجية تمثلت في حوادث السرقة والقتل والاغتصاب التي قام بها قاطعوا الطرق، وبدأت الأحداث تتغير وبناءً عليه قلَّت زيارة الشيخ إبراهيم وحسن لحربي في الدير. فيقول الراوي:"وفي تلك الأيام السوداء قلَّت زياراتنا لحربي، كنت أيامها في الثانوية العامة منهمكا في المذاكرة للحصول على مجموع، وإن لم يكن هذا هو السبب في انقطاعي عنه، فالحاصل أن الرحلة في الجبل حتى الدير، التي أقطعها أحيانا في اليوم مرتين سيرا على القدمين أنا وغيري، أصبحت لا تتم إلا عندما يجتمع عدد كبير لزيارة حربي، وكنا نذهب مسلحين بالبنادق" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٢٥).

ظهرت الصراعات بعدها وتوالت الأخبار بوجود أنباء تؤكد رغبة صفية في قتل حربي داخل الدير عن طريق حنين مقابل مبلغًا من المال ورغم محاولات حنين إلا أنه فشل في فعل ذلك وانتصر الخير على الشر ودافع حربي عن نفسه وقتل حنين برصاصة من مسدس حربي، في هذا التوقيت اشترط القمص مكسيموس أن يخرج حربي من الدير وأن يبنى له غرفة صغيرة أو بيت قريب من الجبل، والدير سيتولي حمايته، ومن بعدها مرض حربي مرضًا أليمًا وتهدل جسمه حتى فارق الحياة في خصه البسيط قبل أن يفارق الدير فارق الحياة بأكملها. وبالرغم من أن الموت يعني نهاية الحياة إلا أن الموت في هذه الرواية قد يكون حلا وتطهيرًا لآفات وفتن مدمرة، وبعده ماتت صفية ولكن ابنها حسان حي لم يمت، واستمرارية وجوده تعني استمرارية الحياة؛ لأن موت فكرة الثأر منح حسان فرصة الحياة والبعد عن مستنقع الثأر، كما دفعته الحياة إلى العمل والانفتاح على البعيد حيث امتلك شركة للتصدير والاستيراد في ألمانيا (مها القصراوي، ٢٠٢٠م: ٩٤).

وفي واحة الغروب، يُمثل الصراع الاجتماعي في العلاقات المتأزمة بين الشرقيين والغربيين، الصراع الذي استمر لعقود طويلة بسبب الموارد المائية التي حالت دون تحقيق العدالة في استخدام المياه الموجودة بالواحة من ناحية والصراع الدائر بينهم وبين الحكومة من ناحية أخرى بسبب الضرائب المجحفة التي فُرضت عليهم. وعلى الرغم من هذا الصراع المزمن والمعلن بين الشرقيين والغربيين في واحة سيوة، إلا أنه يزول ولو للحظات حين يوجد خطر خارجي، أو عندما يتحتم الأمر بمواجهة الأعداء حتى وإن كان هؤلاء الأعداء من رجال الحكومة (أسماء عبد الحميد، ٢٠٢٠م: ١٧١)، خاصة وإن الحكومات المتعاقبة وممثليها في الواحة قد شاركت في

تصعيد الكراهية ضدها لما فرضته من ضرائب مجحفة، مما دفع أهل الواحة جميعًا للدفاع عن حقوقهم، ولقد عبر محمود عن ذلك بقوله:"لم تَنْتَهِمْ إخوانا بل غزاة. لم نعاملهم كأهل البلد بل كمستعمرين. عليهم أن يدفعوا أموالهم غصبًا للفاتحين. فلماذا إذن أغضب مما يفعل الإنجليز بنا. أو تغضب كاثرين مما يفعلونه بأيرلندا؟ ذلك قانون الأقوى. نمارسه نحن هنا كما يمارسه الإنجليز هناك" (واحة الغروب، ٢٠٢٠م: ١٧١).

وهنا كانت الحكومة هي السبب الأكبر في بث خطاب الكراهية والتحريض عليه؛ الأمر الذي ساعد بدوره في ظهور العنف والإرهاب، وتشجيع انتشار الكراهية بغياب الوعي والظلم الواقع على تلك الفئات الفقيرة والمهمشة التي تعاني الانحطاط الفكري. حاول الضابط محمود التودد لأهل الواحة ولكن كل محاولاته فشلت ورفض أهل الواحة سواء الشرقيون أو الغربيون دفع المخصص لهم من ضرائب، وهنا نصحه الشاويش إبراهيم الذي عرف الواحة وعاش فيها فترة زمنية طويلة بقوله: "ينصحني هو أيضًا: يجب أن أفعل مثل أسلافي. أختار الممتنعين عن الدفع وأجلدهم في ساحة القسم أو أسجنهم هم وعائلاتهم. فيكون هذا درسًا للباقين" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٦٩).

زاد الصراع الاجتماعي بين الغربيين والشرقيين حينما كسرت مليكة عادات وتقاليد الواحة بخروجها في فترة حدادها وتوجهت لبيت الضابط للتقرب من زوجته، واعتبروا أن هذا مخالفًا لقواعد عشائرهم ومعاديًا لها، ازداد الأمر سوءًا حينما علم أهل البلدة بمطاردة الضابط لمليكة حينما وجدها في بيته تحضن زوجته بصورة غير مقبولة، فيقول: "هجمت على البنت أنتزع يديها الممسكتين بساقي زوجتي. ثم ركلتها وهي تصرخ نحو الباب. أريد أن أدحرجها على السلم. لكن كاترين أسرعت نحوي، وهي تدفع الجريدة هذه المرة في صدري وتصيح بصوت لاهث. لم تقتلها بمسدسك وتريد الآن أن يقتلوها في الطريق حين يرونها نصف عارية؟" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠: ١٧٢-١٧٣).

زاد الصراع داخل الواحة وبعد هروب مليكة بدأ العويل يملأ البلد من شالي إلى أغورمي، فأهل الواحة رغم الخلاف والاختلاف يشتركون في معتقدات واحدة كما يؤمنون بالخرافة ويتوقعون الخراب والشؤم الذي يحل بهم نتيجة خطأ ارتكبته إحدى نساء الواحة من أبناء الغربيين، فيتوقع البعض إجهاض النسوة، وإصابة الأطفال بالحمى. دون سابق إنذار، والحرائق التي شبت في بيوت لم تكن بها جمرة واحدة، وهنا يؤكد الشيخ صابر المؤمن بالخرافة، باللعنة التي تصيب الواحة بأكملها فيقول:"أتاكم يا أهل بلدي ما تستحقون. أنا أيضًا لست بمنجى من أن ينقض عليّ

ذلك الطائر المحلق فوق رءوس الجميع. غير أني لا أبكي عليكم ولا على نفسي. فلتكتسح النقمة الجميع ولو هلكت معكم، لكني سأحاول قبل النهاية أن أذوق طعم الثأر الذي اشتقت له عمري كله" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٨٠). ارتفعت أصوات الأجواد جميعًا –الشرقيين والغربيين– تلعن المأمور وزوجته، وأرادوا أن يقتلوه هو وزوجته لكونهم نذير شؤم ومصدر لجلب المصائب على بلدتهم، فكروا جميعًا في الانتقام من الضابط بضرب قسم الشرطة، لكن الضابط قطع عليهم الطريق برمي قذيفة من النار تساقطت عليهم كالمطر، وصرخ فيهم بقوله: "هذه كانت للإنذار فقط يا أجواد. في المرة المقبلة سيدك المدفع أسوار بلدكم وبيوتكم كما جرّبتم من قبل في حملة الجيش" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٩١).

ويؤكد الكاتب على أن الصراع في الواحة لم يقتصر على الصراع بين قبائل الشرقيين والغربيين، وإنما امتد حتى مع قوات الأمن، ففي الوقت الذي حاول فيه محمود أن يجمع الضرائب بقوة عسكرية لإخضاع المتمردين على تطبيق القانون في جمع الضرائب المتأخرة، رفض أهل الواحة طلب الضابط محمود، مما زاد من كراهيته لهم. خاصة عندما فكر في إخضاعهم لدفع الضرائب مستخدمًا المدفعية، قائلا:"فكرت أن أخيفهم بسلاح المدفع الذي جربت البلد خطورته من قبل. قررت استخدامه للتخويف فقط فتحققت المعجزة. لا أدري إن كانت قابلة للتكرار أم لا. لكن هذه المعجزة أنقذتهم وأنقذتنا من المذبحة. وكسبت لنا بعض الوقت. وكان لابد بعدها أن أمضي في الطريق نفسه. أواصل التهديد بمنتهى الثقة مع أني لست واثقا بشيء على الإطلاق!" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٩٩). وتصاعدت الأحداث بعد ذلك واحتدم الصراع بين محمود وأهل الواحة حينما هاجموا قسم الشرطة بالأسلحة والبنادق لقتل الضابط ولكنهم فشلوا في قتله وقتل زوجته المتبرجة، فيقول محمود: "أما أنا فسوف أكمل الطريق المرسوم الذي حاولت تجنبه. سأسجن وربما أجلد. لجمع الضرائب مثلما فعل أسلافي. ولعلي أحاول أيضًا ضرب الشرقيين بالغربيين أو العكس حسب نصيحة لمستر هارفي التي ازدريتها وازدريته حين اقترحها" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٢٠٠).

وهذا ما زاد من تشوه العلاقات بين الشرقيين والغربيين من جانب، وبين العشيرتين وضابط الشرطة وزوجته من جانب آخر، وبناءً عليه حرم محمود كاترين من الخروج وزيارة المعابد مرة أخرى، وطلب محمود أن يثأر لزوجته من مليكة بقوله: "يجب أن أنتقم! لابد أن أثار ممن اقتحمت بيتي واعتدت على امرأتي. طفلة أو كبيرة. مجنونة أو عاقلة. غولة أو ملاك". "صوبت

المسدس دون وعي نحو الفتاة الراكعة. لكن بينما أضغط على الزناد كانت الجريدة التي تمسكها كاترين تصيب يدي. فطاشت الرصاصة في الصالة. وصرخت أنا من الألم... هجمت على البنت أنتزع يديها الممسكتين بساقي زوجتي. ثم ركلتها وهي تصرخ نحو الباب. أريد أن أدحرجها على السلم" (بهاء طاهر، ٢٠٠٨م: ١٧٢).

مارس محمود كافة أشكال العنف الجسدي تجاه مليكة، ولعل هذا ناتج من الضغوط والتراكمات النفسية التي عانى منها محمود في الواحة، خاصة بعد رؤيته لحالة زوجته وهي في أيد مليكة، بعدها زاد الأمر تعقيدًا حينما علم محمود من كاترين موضوع الغولة والموروث الخرافي المرتبطة به من جانب وخلافه مع أهل الواحة من جانب آخر وتفكيره في قتلها ما سوف يطرأ عليه بسبب الفعل من جانب آخر، ولهذا قالت له كاترين: "عندما تهدأ ستندم على أنك فكرت أن تقتلها. وسأندم أنا أيضًا لأني أوشكت أن أقتلها". (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٧٦). وازداد الأمر تعقيدًا بعد عودة مليكة وانكشف أمرها لأهل الواحة، واكتشفوا ما قامت به وما حدث لها، وبناءً عليه: "ارتفعت أصوات الأجواد جميعًا. تلعن المأمور وزوجته واليوم الذي حل فيه بأراضينا". (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٨٦).

رغم الضرر النفسي الذي لحق بكل من مليكة وكاترين لم يسلم منه محمود، وندمه الشديد لمقابلة الإساءة بمثلها زاد من الأمر توترًا، وعاد محمود مرة أخرى يفرغ شحنات الغضب والكراهية في أهل الواحة، مستخدمًا الضرب والأمر وإثارة الزعر والترويع، وهذا ما زاد الأمر سوءًا وعرَّضه للخطر بصورة أشد قسوة، أسفر عن ذلك ما قاله: "إن حياتي في خطر. البلد تعتبرني أنا المسئول عن كل ما حدث منذ خرجت مليكة من بيتنا" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ١٩٣). "إني أخطأت منذ البداية. لم يكن من المفروض أن أهدد الشيخ صابر. ولا أن أصر على الثأر من مليكة وأسرتها. هي بالفعل كما قالت كاترين طفلة مجنونة. فأي عاقل يثأر من الأطفال والمجانين؟ ثم ما الذي كان يمكن لأسرتها أن تفعله وهي قد فرت دون إذنهم. واقتحمت البيت متنكرة من وراء ظهورهم؟" (بهاء طاهر، ٢٠٠٨م: ٢٠٠).

شعر محمود بالضرر الذي لحق به منذُ مجيئه للواحة وما تعرض له من سكان الواحة كونه أحد رجال الحكومة المكلفين بجمع الضرائب المجحفة منهم أو كونه زوج السيدة الأجنبية التي تكسر عادات وتقاليد أهل الواحة وتتردد على المعبد لمعرفة سر من أسرار أهلها، يحاول محمود أن يهدم معبد أم عبيدة حتى لا يبقي له أثر. يريد هدم المعبد حتى ينتهي من قصص الأجداد

وليفق الأحفاد أمثال مليكة من أوهام العظمة والعزاء الكاذب والجري وراء السراب في تفسير بعض العادات المنقوشة على جدران الحوائط، وحتى تهدأ كاترين الشغوفة بالآثار التي تبحث كثيرًا عن مقبرة الإسكندر، ينظر محمود إلى المعبد ويخرج أصابع الديناميت ويفجر المعبد ويتخلص من المعبد ويسقط عليه حجارة المعبد فتنتهي حياته هو الآخر، فيقول محمود: "أجري لكني أسقط على الأرض قبل أن أبلغه. أراه قبل السقوط يندفع نحوي، يرتطم الحجر برأسي فأسقط ويحل نوم لكني أصحو مرة أخرى، أمد يدي إلى رأسي ورقبتي فأحس اللزوجة وسخونة الدم وألمس الشظية الكبيرة المرشوفة في رقبتي.. أحاول انتزاعها بيدي الخائرة فلا أفلح.. لم يكن هناك ألم..وتوهج فجأة نور في داخلي، نعم، الآن يمكن أن أرى كل شيء! أن أفهم كل ما فاتني في الدنيا أن أعرفه! أحاول أن أرفع رأسي فلا أستطيع.. يخبو النور وتحل هجمة السبات الثقيل وأسمع صوتا متهدجا أجش يزعق باسمي كأنه يبكي..فأقول وأنا أغمض عيني شكرا..لك لأنك..تأخرت!" (بهاء طاهر، ٢٠٢٠م: ٣٢٢).

قد يقصد الكاتب بالغروب داخل الواحة غربت شمس أحد أبطالها وانتهاء رحلته ولكنه في الحقيقة استراح من الصراع والتناقض، وكأن العنوان هنا يمُثل تاريخ حضارة بأكملها عاشت حياة طويلة في صراع بين الحكومة ورجالها، وبين القبائل وبعضهم البعض مما تسبب في وجود حالة من الفوضى والغضب التي تسببت في الرفض والتوتر وتآكل التماسك والتلاحم بين القبائل. كما يكشف عن خطاب الكراهية ودوره في تآكل رأس المال الاجتماعي، فقد رصد الكاتب تحولات الواقع المصري المعيش في منطقتين مختلفتين لكل منهما طابعها الخاص وما تعرضت له كل منهما من هزات عنيفة، أثرت بصورة أو بأخرى على تفكك بنائها الاجتماعي المتماسك، مما ساعد على تغير بعض قيم وعادات وتقاليد مجتمعية أضحت تتسم بالاختزال لتعبر عن واقع مأزوم تنمو به جذور ثقافة البغض والكراهية.

سابعًا – رؤية ختامية:

كسر بهاء طاهر المعيار السائد الذي يتحدث عن الخير دون الشر وتمرد على كتابة ما هو مألوف، أراد أن يوضح منابع الكراهية في السياقات التي يفترض فيها الخير والسلام والتسامح... وغيرها من القيم الإيجابية، ففي الروايتين محل الدراسة سعى إلى مناقشة قضايا مهمة وضرورية لإحداث التماسك والسلام المجتمعي ونقض الكراهية بكافة صورها. ففي رواية "خالتي صفية والدير" أشارت إلى الصراع الاجتماعي الناجم عن التميز الطبقي وفقدان الحب بين من ربطتهم

صلات قوية خلال حياتهم. وفي "واحة الغروب" ناقش قضية التميز العنصري والثقافي والاعتزاز بالهوية والوطنية. كما طرحت الروايتان عددًا من القضايا الفرعية المرتبطة بموضوع الدراسة، والتي تُسهم في تآكل رأس المال الاجتماعي مثل: الصراع الطبقي العنصري، فقدان الثقة، وانعدام الأمن، والدور الذي تلعبه المعتقدات الشعبية في تكريس صور العنف والكراهية ... وغيرها من الموضوعات.

وعلى الرغم من تركيز الروايتين على مظاهر الكراهية، إلا أن ثمة أضواء تظهر من خلف هذه المظاهر، كالوطنية المُتمثلة في شخصية محمود عبد الظاهر، والحب الحقيقي الذي يعطي صاحبه الرغبة في الانتقام، كما فعلت صفية. هذا علاوةً على الدور الذي لعبه "الدير" في رواية خالتي صفية والدير، لكونه ملاذًا لأهل الحرية ومكانًا للاحتماء وقت الخطر، ومثالا للتسامح بين المختلفين في حياتهم اليومية. ومن هنا، يمكن القول: إن البيئة عامل أساس في تنمية وتشكيل هوية الأشخاص فهي من تغرس حب الخير وتهبه المزايا والمنافع كنتيجة للحب الذي يؤثر فيه من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تغرس فيه أيضًا حب الأنانية الذي يولد الكراهية فيسود بها الشر، وغياب التسامح والعدل وحضور التصلب والتمسك بالرأي وعدم احترام الرأي الآخر.

وعلى هذا، أظهرت الدراسة قدرة الكاتب على تجسيد قضايا وهموم مجتمعه في صورة عمل أدبي، روائي، يُعد أكثر تداولا بين المواطنين، وخاصة الشباب، وكوسيلة يمكن من خلالها زيادة وعي الأفراد بخطورة الظاهرة والحد من انتشار البغض والكراهية ورفض الآخر...إلخ، والمساعدة في نشر قيم اجتماعية أكثر فعالية والقضاء على التمييز والعنصرية بين أبناء المجتمع الواحد، كما يحاول الكاتب في نهاية كل رواية أن يرسم للقارئ الطريق الذي يسلكه ويوضح له أوجه الاستمرارية في الحياة التي يعيش من أجلها والطرق الوعرة التي يجب عليه تجنبها، فالكاتب يضع لنا رسالة إنسانية تؤكد لنا أن الحب هو بديل الموت، والتسامح ما هو إلا بديلا عن الانتقام والكراهية، وبالمحبة تحيا الأمم وتستقر الأحوال.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١- طاهر، بهاء (٢٠٢٠)، خالتي صفية والدير، ط٧، دار الشروق، القاهرة.

٢- (٢٠٢٠)، واحة الغروب، ط٧، دار الشروق، القاهرة.

ثانيًا: المراجع العربية:

٣- أبو العلا، سلوى أحمد محمد، (ديسمبر ٢٠٢١م)، دور المجتمع الافتراضي في ترويج ثقافة التطوع لدي الشباب الجامعي بالصعيد: دراسة ميدانية في إطار نظرية رأس المال الاجتماعي، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، عدد٧٧.

٤- أبو دوح، خالد كاظم، (٢٠٠٩م)، إهدار رأس المال الاجتماعي في مصر، مجلة الديمقراطية، العدد٣٥، المجلد٩.

٥- أبو عوف، عبد الرحمن، (١٩٩٧م)، مراجعات في الأدب المصري المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٦- أحمد، أحمد كريم (٢٠٢٢م)، انعكاس خطاب الكراهية في القنوات الفضائية العراقية على الجمهور، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة نيسان، مجلد٢١، عدد٤٢.

٧- أحمد، حاتم عبد المنعم وهاني، أحمد فخري.. وآخرون، (٢٠١٧م)، المتغيرات الاجتماعية والفيزيقية المرتبطة بظاهرة الأخذ بالثأر – دراسة حالة في إحدى قرى صعيد مصر، مجلة العلوم البيئية، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، مجلد ٣٧، الجزء الثاني.

٨- البدري، أركان هادي عباس (٢٠١٩م)، خطاب الكراهية في نطاق القانون الدولي الجنائي، رسالة ماجستير، إشراف بلاسم عدنان عبد الله، كلية القانون العلوم السياسية، جامعة ديالي، مجلة العلوم القانونية والسياسية، المجلد الثامن، العدد الثاني

٩- بهاء طاهر (٢٠١٥م)، بهاء طاهر في مديح الرواية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

١٠- جاسم، نصيف، (٢٠١٩م)، خطاب التعصب والكراهية والتطرف مجلات تنظيم الدولة (داعش) أنموذجًا دراسة تحليلية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، الجزء١١٦.

١١- جون سكوت (٢٠٠٩م)، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، ط١، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

١٢- حسن، دينا مفيد علي، (٢٠١٦م)، رأس المال اجتماعي ودعم المشروعات الصناعية: دراسة ميدانية بقرية باسوس في محافظة القليوبية، مجلة البحث العلمي في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية جامعة عين شمس، ع١٧، ج١.

١٣- حمداوي، جميل (٢٠١٥م)، جدالية الحب والكراهية في رواية رصيف الطهارة لأمير محارب "مقارنة سيميوطيقية"، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجلد ٣٠.

١٤- الخثلان، انتصار سعود وعفاف محسن الأنسي (٢٠١٩م)، الرأسمال الثقافي والاجتماعي وانعكاسه على العمل الأدبي للأديبة السعودية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ١٧، العدد٢.

١٥- خميس، هاني، (٢٠٠٨)م، رأس المال الاجتماعي "سلسلة مفاهيم"، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، العدد ٤٥، القاهرة.

١٦- رملة ناصري، وردة معلم، (٢٠٢١م)، خطاب الكراهية وأثره في رواية (ساهجرك كما هجرك أبي) لـ "دايروا داتسيدا"، مجلة مدونة، العدد٨، مجلد٣.

١٧- زايد، أحمد وآخرون (٢٠٠٦م)، رأس المال الاجتماعي لدى الشرائح المهنية من الطبقة الوسطى، ط١، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

١٨- زكريا، علياء علي، (٢٠١٧م)، الآليات القانونية المستحدثة لدحض الكراهية والتمييز وتطبيقاتها المعاصرة: دراسة مقارنة، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، مجلد ٥.

١٩- زكي، وليد رشاد، (يناير ٢٠١٥م)، مفهوم رأس المال الاجتماعي، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثاني والخمسون، ع١.

٢٠- ستيفان شوفالييه وكريستيان شوفيري، (٢٠١٣م)، معجم بورديو، ترجمة الزهرة إبراهيم، ط١، الشركة الجزائرية السورية ودار الجزائر.

٢١- السروجي، طلعت مصطفى، (٢٠٠٩م)، رأس المال الاجتماعي، ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٢٢- السعدوني، محمد ثامر، (٢٠١٦م)، حظر التعصب الديني بوصف انتهاك لحظر التمييز والكراهية، مجلة الفقه والقانون، ع٤١.

٢٣- السعيد، ضيف الله وبلبركي، فاطيمة، (٢٠٢٠م)، تمرد الأنا ومدارات كراهية الآخر في السرد النسوي الجزائري المعاصر رواية (تاء الخجل) لفضيلة الفاروق- أنموذجًا، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، المركز الجامعي سي الحواس بريكة، مجلد٣، العدد ٢.

٢٤- شرادقة، تحسين والمناصير، محمد وآخرون (٢٠١٧م)، سيكولوجية الصورة النمطية وتأثيرها على الملتقي بين خطاب الكراهية والأمن الفكري، جامعة الزرقاء، كلية الصحافة والإعلام، المؤتمر العلمي الدولي: الإعلام بين خطاب الكراهية والأمن الفكري.

٢٥- عبد الحميد، إنجي محمد (٢٠٢٠م)، دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الاجتماعي: دراسة حالة للجمعيات الأهلية في مصر، المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، القاهرة.

٢٦- عبد السلام، سعد، (٢٠٢١م)، خطاب الكراهية كنمط حياة غربية: عولمة القيم عبر مواقع وسائل التواصل، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، مجلة الاستغراب، مكتب بيروت، عدد ٢٣.

٢٧- عبد الله، فيصل حسن أحمد، (٢٠٢١م)، جريمة إثارة خطاب الكراهية والجرائم المتصلة بها: دراسة تحليلية نقدية لقانون مكافحة التمييز والكراهية الإماراتي، مجلة الأمن والقانون، دبي، مجلد٢٩، عدد١.

٢٨- عبدالجليل، منال رجب عبدالله، (٢٠١٧م)، دور أستاذ الجامعة في تكوين رأس المال الاجتماعي وانعكاساته على الطالبة الجامعية "دراسة ميدانية على بعض كليات الدراسات الإنسانية بتفهنا الأشراف بالدقهلية، مجلة البحث العلمي في التربية، عدد ١٧.

٢٩- عمراوي، صلاح الدين، (٢٠٢٢م)، أثر خطاب الكراهية في مواقع الفيسبوك على الجمهور: دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي مواقع الفيسبوك في الجزائر، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، مجلد ٩، عدد١.

٣٠- فخري، أحمد (١٩٧٣م)، واحة سيوة، ترجمة جاب الله علي جاب الله، مراجعة محمد جمال الدين مختار، المجلد الأول، وزارة الثقافة هيئة الآثار المصرية، القاهرة.

٣١- فضل، صلاح، (١٩٩٢م)، أساليب السرد في الرواية العربية، ط١، دار سعاد الصباح، الكويت.

٣٢- فلاديمير جيكارينتسف، (٢٠٠٣م)، الحب في ازدواجية الكون، ترجمة ديما ماجد علاء الدين، ط١، دار علاء الدين، دمشق.

٣٣- القصراوي، مها حسن يوسف، (٢٠١٣م)، جدلية الحب والموت قراءة في روايتين شرق النخيل وخالتي صفية والدير لبهاء طاهر، مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب، السعودية، جامعة الملك سعود.

٣٤- كامل، عبده رمضان، (٢٠١٣م)، كراهية الذات اليهودية في الرواية العبرية المعاصرة: "أمنيات كأس العالم لإشكول نفو نموذجًا"، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، مجلد ٣٨، عدد١، ٤.

٣٥- لأطرش، إسماعيل وقوي، بوحنية أحمد (٢٠٢٢م)، جرائم التمييز وخطاب الكراهية في التشريع الجزائري (المفهوم وآليات الوقاية والعلاج)، جامعة أدرار، مجلة القانون والمجتمع، مجلد١٠، عدد ١.

٣٦- لمسيح، خالد، (٢٠١٧م)، شبكات التواصل الاجتماعي وتكريس خطاب الكراهية: دراسة لتواصل رواد شبكات التواصل الاجتماعي، المجلة الغربية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد١.

٣٧- محمد صبحي سعيد صباح، (٢٠١٦م)، جرائم التمييز والحض على الكراهية والعنف (دراسة مقارنة)، مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية، كلية الحقوق، جامعة مدينة السادات، مجلد ٢، عدد١.

٣٨- محمد، نجوى مختار نصير وعسكر، أحمد محمد وآخرون، (يناير ٢٠٢١م)، العلاقات الاجتماعية: مقاربة نظرية، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة أسيوط، مجلد ٢٤.

٣٩- ميخائيل باختين، (١٩٨٦م)، الماركسية وفلسفة اللغة، ترجمة محمد البكري ويمنى العبد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

٤٠- المطيري، حامد محمد، (٢٠٢٢م)، الاتجاه الاجتماعي في رواية "ساق البامبو" لسعود السنعوسي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة.

٤١- نصر، محمد وهلال، جميل، (٢٠٠٧م)، قياس رأس المال الاجتماعي في الأراضي الفلسطينية، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، القدس.

٤٢- هلال، محمد غنيمي، (د.ت)، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

43- Robert D. Putnam (1995). Bowling Alone: America's Declining Social Capital. Journal of Democracy 6 (1).

44- Steven F. Messner, Richard Rosenfeld, et (2004): Dimensions of Social Capital and Rates of Criminal Homicide, American Sociological Review, Vol. 69, No. 6.

45- Mai ElSherief, Vivek Kulkarn, et (2018): Hate Lingo: A Target-Based Linguistic Analysis of Hate Speech in Social Media, Twelfth International AAAI Conference on Web and Social Media, Vol. 12 No.1.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

٤٦– عبد المطلب، محمد، (ديسمبر ٢٠٢١): حورات مواجهى خطاب الكراهية شيطان الكراهية جائحة ثقافية وأخلاقية االغلغل مجتمعاتنا مثل كورونا، متاح على الرابط التالي: https://gate.ahram.org.eg/daily/News / تاريخ الدخول الخميس الموافق ١٨/٨/ ٢٠٢٢، الساعة ٥:٢٩ مساءً.

47- Article 19 encourages organizations and individuals to endorse The Camden Principles on Freedom of Expression and Equality, p10, Available on line at:https://www.article19.org/data/files/pdfs/standards/the-camden-principles-on-freedom-of-expression-and-equality.pdf